قصة الكراهية...

بين الرجل والمرأة

الأنوثة والذكورة بين الجاهلية والإسلام

كتبه
صفا نصر الشّايب

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ

أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا

لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا

وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحۡمَةً

الشـــكر والإهـــداء

هنَّ لا يُردْنَ شكرًا .. ولا جزاء سوى من خالقهنَّ .. أعرف ذلك ..

ولكنهن يستحققْنَ قصائد من الياسمين... وأناشيد من الرياحين...

ودعوات كدعوات سيد المرسلين ...

(فريق باسقات) متطوعات معهد نخلات الرائعات...

بكل أقسامكنَّ وثغوركنَّ...

بعدد الساعات التي بَذَلْـتُنَّها...

والجهود التي في بناء مكتبة المعهد قـدَّمتـنَّها ...

آواكـنَّ الله... ثبَّتـكنَّ الله ... أظلكنَّ الله ..

جزاكنَّ الله ... رفعكنَّ الله ... أحبكنَّ الله ..

اللهم آمين ...

الكاتبة

بين يدي الكتاب

الكراهية بين الزوجين لا تأتي فجأة... فقد صنع المجتمع أنصاف رجال وأنصاف نساء، يعمل كلٌّ منهم نصف ما عليه، ثم ينشغل بأدوارٍ غير أدواره. ومَن مِنّا يحب المشوهين؟

للكراهية أسباب وتاريخ طويل، وللمحبة شروط... والقلوب ليست لكل أحدٍ تميل.

الكراهية هي النتيجة الطبيعية لكل زواجٍ لا يُقام على ضوابط الإسلام.

هيا نُعِيد الحبَّ لبيوتنا، ونتحمَّل مسؤولياتنا في أُسَرنا، ونعود لأدوارنا العظيمة التي شَغَلنا المجتمع عنها.

لقد أصبح الرجل المسكين مشغولًا بالسعي في هذه الحياة.

وأصبحت الزوجة المسكينة مشغولةً بالبيت.

هيا نَنْشَغل بإعادة الحب؛ كلاكما يستحق أن يحبه شريك حياته. ولكن اعلما أن الحب أصله في السماء... «**إني أحب فلانًا فأحبوه**»، وله قوانين نفسية على الأرض. ومَن لم يفعل ما أمر به ربُّ السماء العالية... فليغرق مع الغارقين في دوامة الكراهية.

أهلًا بطالبات وطلاب العلم... أهلًا ومرحبًا بمَن شعاره: (رَبِّ زِدْنِي علمًا).

هيا نبدأ...

المقدمة

بسم الله العظيم... الذي خلقنا ذكرًا وأنثى، وله الحمد.

بفضل الدين؛ عرفنا أمهاتنا وآباءنا وأنسابنا... بفضل الدين، لم تُلْقِنا أمهاتنا إلى دُورِ الرعاية وملاجئ الأيتام من أجل حفلٍ راقصٍ في ملهى ليلي، ولم يُجْهِضْنَنَا، بل جئنا إلى الدنيا وهناك مَن ينتظر قدومنا... بفضل الدين؛ كان آباؤنا يعودون إلى البيت كل يوم حاملين لنا الطعام وما يستطيعون من الحلوى.

بفضل الدين، يذهب أزواجنا إلى أعمالهم وهم واثقون من أن زوجاتهم لن تُدخِل أحدًا إلى البيت. بفضل الدين، ينعم أولادنا بجلوسنا معهم، وتشجيعنا لهم، ورغبتنا في تعليمهم... ليكونوا صالحين. بفضل الدين، لا يُدخِل أزواجنا نساءً وخمورًا إلى بيوتنا. بفضل الدين، لا يتعرَّض الكثير من الأطفال لزنا المحارم، ولا يقيمون علاقات قبل الزواج. بفضل الدين، ينفق علينا الآباء إلى أنْ نتزوج، ونحن لا نرميهم في الملاجئ حين يكبرون.

قد تظن لبرهةٍ من الزمان أن هذا فضل والديك والقوانين فقط، ولكنك مخطئ جدًّا. فنحن نرى كل هذه الأمور، التي هي من المُسلَّمات، قد اختفت في المجتمعات التي لا يوجد فيها الدين. إذن، لقد كان الدين يخدمنا لقرونٍ، وبفضله مُنحنا الكثير من المزايا، وحَظِي معظمنا بدفء الأسرة. بفضله، نِلْنَا الكثير من أسباب الحفاظ على إنسانيتنا وترابطنا... وابتعدنا عن المخدرات والقتل والزنا.

حتى الذين قلَّ وازع الدين في بيوتهم، فأُهْمِلوا وتُرِكوا وتأذَّوا، وعاشوا قسوةً شديدةً، نفعهم الدين... لم ينتحروا مع أنهم شعروا بالمعاناة والضياع، ولكن الدين أخبرهم أن الله سيحاسب الآباء على تضييع أبنائهم والرحمة المنزوعة من قلوبهم... فصبروا ورضوا بحبِّ الله لهم ودفاعه عنهم، وانتموا إلى الله حين رفضتهم أُسَرهم، وشعروا بقيمة الإيمان.

كل هذا بفضل الدين... يؤلمنا أن نكون قد استفدنا من الدين كلَّ ذلك، ثم لا نَرُدُّ إليه بعض الجميل، فنفيد الدين بالدعوة إليه. ندعو إليه لينعم القسم الآخر الذي حُرِمَ ما حَظِينا

به بتلك المزايا، مع أنه يستحقها... ندعو إليه لكي لا يذوق أبناء الدين -الذين يعيشون بلا دين- الحرمان والوحدة والضياع التام في عالمٍ لا يرى لهم أيَّ قيمةٍ.

لا قيمة لك إلا إذا حقَّقت شهوةً من الشهوات، أو أحضرت المال، أو استطعتُ أن أحصل بسببك على نفقة مالية أو متعة جنسية. ذلك القسم الآخر الذي يعيش بلا دين... وأعني بالدين أن يؤمن الإنسان بالله وبيوم الحساب... الحساب الذي سيكون على الآلام التي نتسبَّب بها لأزواجنا وأبنائنا... وعلى السعادة التي نصنعها لهم... ذلك القسم الذي يعيش بلا دينٍ لا يهتم بأن يشكرك على مهماتك الإنسانية، ولا يسعى لأن تكون إنسانًا يحبه أهله في الصغر، وتحترمه أُسْرتُه في الشباب، ويُقدِّرونه في الكبر. لا يهتم حتى بجنسك، ذكرًا كنتَ أم أنثى.

لا يهتم بأن تتضرر بسببه أو تُهان أو تموت بجرعة مخدرات. أنتَ وهي لستما مهمَينِ. بإمكان الرجل هجر أي امرأة، وبإمكان المرأة قتل أطفالها وهم أَجِنَّة... تعويضكما سهل ببعض المال، فقتلك قد يكون سببًا لحصول التأمين، وسنعوضك بالأشخاص الآخرين الجدد الذين نتسلى معهم... ما أصعبه من شعورٍ! وأتفهم أن الجرح الناتج عن العيش مع مَن لا يرى لك قيمةً... أنانيةٌ واستهتارٌ وجريمةٌ أشد من القتل.

عندما لا يؤمن الإنسان بالآخرة، سيصبح وحشًا في الدنيا، سينافس الكل، ويحاول تملُّك ما يستطيع ممن حوله. ستحقد على مَن يعطلك عن أخذ المزيد من المتع، حتى لو كانت زوجتك أو أمك، وستعيش (نفسي... نفسي). لا تظن أن أحدًا سيحبك حبًّا حقيقيًّا، حتى لو كنتَ ابنه، لولا الإيمان.

نظام الأسرة في الإسلام:

لأنَّ الإنسان جزء من الأسرة، وتكامل الأسرة وتحقيق العدالة لأفرادها من أهم ما يميز ديننا، فقد جاء الوالدان بعد التوحيد، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقوله: ﴿لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ * وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ [لقمان:١٣- ١٤].

إذن، علينا أن نفهم نظام الأسرة والأنوثة والرجولة لدينا، وكيف استثمر الإسلام قدراتهما المختلفة لصنع إنسانٍ له عائلة تُقدِّره، وبناء نفس مستقرة ساكنة تَحظَى بالاهتمام الذي تستحقه. فلا يوجد طفلٌ لا يستحق الاهتمام، وتضييع الأطفال -سواء تضييع نَسَبهم أو رعايتهم أو قتلهم- كلها جرائم عُظمَى في الإسلام.

تحديات العصر وتأثيرها:

سنفهم ديننا، لأننا إنْ لم نُؤثِّر في القسم الآخر من العالم ؛ سيتمدَّد تأثيره الضار إلينا، كما نرى اليوم ما جرى في كثيرٍ من بيوتنا، ليصبح الرجل يكره أن يكون رجلًا، وبات يتنازل عن قوامته بسهولةٍ، والأنثى تكره أن تكون أنثى وتشعر أنها مظلومةٌ...!!!

في الحديث أيضًا: «**لعن الله المتشبهين بالرجال من النساء، ومن النساء بالرجال**». ولكن لم نَعُدْ نرى المتشبهين فقط، بل نرى المتحوِّلين جنسيًّا أيضًا. بل لم نكتفِ بهذا... بات الشذوذ الجنسي أحد مظاهر ذلك التعقيد الجنسي، حتى لم يَعُدْ الرجل يفهم وظيفة الأنثى. وإنْ كانت الوظيفة بنظره مجرد المتعة الجنسية، وبات يُحقِّقها في ذَكَرٍ؛ فلِمَ الزوجية أصلًا؟! ولا تفهم المرأة وظيفة الرجل، إنْ كانت وظيفته إحضار المال، فسأحضره بأنوثتي من أيدي الرجال في الخارج، فلِمَ انتظار نفقة زوج أصلًا؟!

امرأة تكره البنات وتُعيِّرهن بأنوثتهن... وتتمنى إنجاب الصبيان!

رجل يعامل ابنه كعدوٍّ يريد أن يأخذ مكانته!

أيُّ عقلٍ في أن يكره هكذا الإنسان جنسه!

عالم بشري يحارب نظام الكون، مع سيطرة المادية التي جعلت علاقة الزوجين -التي تقوم لصناعة الإنسان لا لكسب المال والمتع- علاقةً بلا قيمةٍ... ومع الدور الإعلامي الشنيع الذي وصل ببعض قنواته إلى عرض كرتون عن رجلٍ يحمل ويلد عِوَضًا عن الأنثى، وأنثى تقاتل كالرجل ، لقد وجدتُ كثيرًا من أولئك غير الراضين عن حياتهم... يعانون مشكلةً في تقبُّل المهام الموكَّلة لهم حسب جنسهم، ويرون أنهم مظلومون.

العودة إلى الفطرة والإيمان:

هناك مشكلة حقيقية في كون المرء لا يحب جنسه ويتمنى مزايا الجنس الآخر، وهذا بالذات نبَّهنا له الله تعالى الذي لا زال بآياته يُعلِّمنا عن أنفسنا ما لا نعلمه نحن عنها... قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾ [النساء: ٣٢].

لقد بحثتُ في المكتبة العربية والأجنبية عن كُتُب تهدف خصيصًا لتعزيز الهوية الجنسية لكلِّ فردٍ ليقبل مهماته، فلم أجد ما يشفي غليلي، ولا ما يُوصِّل العبد لِمَا ينبغي له الوصول إليه... غير أنني بالتأكيد استفدتُ شذراتٍ كُتِبت هنا وهناك. فسأجمع الشذرات وألتقط الماسات، وأستعرض الأحاديث والآيات والمواقف، وأحل بعض الأحجيات... لندرس تاريخ كراهية الذَّكَر للأنثى والعكس، بدءًا من وأد البنات... إلى نرجسية النسويات.

لعلي أُشبِع هذا الموضوع بأقصى ما أستطيع، وليخرج الرجل الحائر الباحث عن قيمته ووظيفته سعيدًا أنه رجل، ولتخرج الأنثى التائهة الغارقة بوظائف غير وظائفها سعيدةً أنها أنثى، بإذن الله، والله الموفِّق.

للدين فضل كبير على
كل نجاح أسري كما أن
"معظم الفشل الذي
يحيق بالحياة الزوجية
مرجعه عدم التدين،
والطلاق كثير الحدوث بين
الدينيين". برادفورد
سميث
لنشكر النعمة تلك علينا
أن ننشر ديننا

١. فَهْم نظـام الـزوجيـة

يتعمَّق الفشل في العلاقات الزوجية عندما تسيطر المادية على البيوت والأُسَر. وكما يقول عائض الدوسري: (إذا تعمَّقت المادية في البيوت الأُسَرية والحياة الزوجية، وأصبحت الفلسفة المهيمنة على علاقات الأفراد؛ قد يصل الأمر ببعضهم إلى استغراب وجود علاقات حبٍّ ووفاءٍ وتضحيةٍ ومودةٍ وتَفَانٍ بين أفراد الأسرة، وبين الزوجين، بل قد يظن بعضهم أنها علاقات خيالية، ومجرد قصص مثالية لا وجود لها).

لهذا، يرى الكثيرون أن الحب بين الذَّكَر والأنثى مجرد وَهْمٍ وخيالٍ، وأن الانجذاب المؤقَّت هو نتاج كيمياء جسدية وهرمونات يضعف تأثيرها مع الزمن... لا يُصدِّق هؤلاء بوجود المشاعر الحقيقية للحب، ويتساءلون: هل يعقل أن تحمل النباتات مشاعر لبعضها البعض؟ وبالتالي؛ يعتبرون الكراهية هي الأصل، ولا يجدون أسبابًا لإزالتها. فتقول المرأة: (الرجل عدوي، لم يكن يومًا حليفي لأكسبه، بل خسارته تسعدني، فقد أثَّر عليَّ رغمًا عني بكيميائه ليتكاثر، وعليَّ أن أرفض تأثيره، فغِيرتُه تحرمني التمتُّع بالحياة). ويقول الرجل: (الأنثى عدوتي، ويُفرِحني أنني جعلتها تكرهني لتمنحني حريتي، وأتخلص من تأثير كيميائها وجاذبيتها التي أذلَّتني وكلفتني الكثير وتجعلني مقيدًا بها وبأولادها).

نعم، كلامهما صحيحٌ... الكراهية هي الأصل، ولا شيء يجعل الأنثى والذَّكَر يتحابَّان بعد انقضاء مهمة التكاثر سوى الدين والإيمان؛ قال تعالى: ﴿**لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ**﴾ [الأنفال: ٦٣]. ولذلك، جعل الله المودة والرحمة آيةً من آياته، تدل على أن دينه قادر على تقليل الكراهية بيننا، بل وتذويبها لتتحوَّل إلى مودةٍ ورحمةٍ. فإنْ رأيتِ بعض الحب من زوجكِ بعد سنين من زواجكما، وبعد أن انتهت وظيفة كيمياء الهرمونات... فاعلمي أنَّ هذا بسبب إيمانٍ يملكه زوجُكِ يجعله يرى فيكِ فرصةً لرضا الله. والعكس صحيحٌ، إنْ رأيتَ أنَّ زوجتكَ بعد أعوام من زواجكما لا تبحث عن

حبٍّ خارج البيت، جالسةً تُعِدُّ الطعام لكَ في بيتكَ، وتلاعب أطفالكَ... فاعلم أنَّ هذا بسبب الإيمان الذي في قلبها، يجعلها ترى فيكَ فرصةً لرضا الله.

كيف نشكرك يا رب على نعمة الإيمان؟! كم منحنا الإيمان سَعَةَ القلب والصبر ومكانةً عند أزواجنا... ما كنا لنحلم بها في قلبٍ خلا من الإيمان.

أُسُس فهم نظام الجنسين في الكون:

قبل أن نُكمِل؛ علينا وضع بعض الأُطُر والأُسُس التي تجعلنا نفهم نظام الجنسين في الكون. الكلام التالي علميٌّ قليلًا، وربما تكون مصطلحاته جديدةً على القارئ، لكن اطَّلع عليها لمرةٍ واحدةٍ؛ فجميلٌ أن ندرك ما حولنا.

نظام الكون كله مبنيٌّ على الزوجية، وهذا ما أخبرنا به الله تعالى، ونوقن به؛ فهو مثبت على صعيد التجربة في كل ما حولنا... حتى الذرة والمجرة فيها نظام الزوجية ذاك.

فالزوجية في الكيمياء نراها بكون العناصر منها فلز ولا فلز، عنصر نشط وعنصر خامل، حامض وقاعدة، أكسدة واختزال. وهناك تفاعلات طاردة للحرارة وأخرى ماصة للحرارة.

في الفيزياء الجزيئات التي فيها الإلكترون السالب والبوزيترون الموجب، كذلك في البناء الذري بوجود المادة ومضاد المادة، حتى الضوء منه الضوء المستقطب وغير المستقطب.

وهي في الحيوان والنبات بوجود الزوج الذَّكَر والأنثى في الأجناس كلها، وغير ذلك مما تذكره أبحاث الإعجاز العلمي لتأكيد الثنائية والزوجية، وانسجامهما في كل أجزاء الكون... قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦].

الزوجية والتكاثر... أبعد من مجرد الصدفة:

والسؤال: لماذا كانت الزوجية قانونًا سائدًا في كل المخلوقات؟ الجواب أن منبع التكاثر هو مِن الزوجية عندما تتفاعل. فمِن سلبية الإلكترون وإيجابية البوزيترون تتعادل الذرة كهربيًّا، ومن التقاء الشحنات السلبية والإيجابية تندمج العناصر. بل بسبب ما ينتج عن

ذلك التزاوج من مواد وكائنات ظنَّ الجاهلون أن الكون قائم بالصدفة، تكاثر بتكاثر مع الزمن، وتفاعل زوجين بتفاعل وتفاعل. يقولون: بالتزاوج المتكرر أنتج الكون ما نرى، فقد جعل التطوريون التكاثر الناتج عن التزاوج بمثابة الرب الخالق، وهذا بسبب الأثر الكبير الملموس للتزاوج والتفاعل بين الذكورة والأنوثة، السلبية والإيجابية في هذا الكون.

لكن مع كون تفاعل الأنوثة والذكورة قويًّا وفعَّالًا وكبيرًا، وهو سبب في التناسل، فإنه لا يمكن أن ينفي أبدًا وجود الإله. فكرتهم السخيفة تلك سنبطلها، فتزاوج الكائنات يخرج ذرية جديدة، تختلف عن آبائها في ثلاث نقاط:

١. أنَّها نسخ جديدة منفصلة قائمة بذاتها، لا تظل محتاجةً لآبائها، بل قد تموت آباؤها وتستمر هي بالحياة، وهذا يدل على أنَّ هناك مُحْيِيًا... أَكْمَلَ حياتَها.

٢. هي تَحمِل جزءًا من صفات آبائها، ولكن النسخة الجديدة فيها اختلافٌ واضحٌ، فيمكن أن نُميِّز بين أولاد زوجين، مع كونهم من أبٍ وأمٍّ واحدةٍ لا يتشابهون، ويدل هذا على أن هناك إرادة مستقلة مُتجدِّدة لكل خَلْقٍ جديدٍ، فما دام التطابق غير ممكن فهي ليست عملية تصنيع أوتوماتيكية خالية من العناية الدائمة بكل مخلوق جديد.

٣. ليست كل المخلوقات تحمل إمكانية تكرار النوع بالمعادلة نفسها، فهناك عقم أحيانًا، ونهاية سلالة، وانقطاع نَسْلٍ، وانقراض نوعٍ... دامت حياته لقرونٍ، ثم يُحكَم عليه بالموت. يدلُّ هذا على أن التكرار وحده لا ينجح في إيجاد أصناف الحياة، فقد تتوقَّف الحياة بأمر الله متى شاء، ويكون الموت بعد الحياة: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥].

الزوجية البشرية أبعد من التكاثر:

إذن، عرفنا أن الكون كله قائم على الزوجية، وأنَّ الزوجية تلك سببٌ للتكاثر في النوع الواحد الذي أراد الله له أن يستمر بالتكاثر.

إذن، أنتَ كجزءٍ من الكون، نظام الزوجية سيشملك. ولكنك مختلفٌ كإنسان، ستتميز زوجيتُك عن الكون بأمورٍ، من أهمها: أن الهدف من تفاعل ذكر بشري مع أنثى ليس فقط

التكاثر، ولا دغدغة المشاعر، بل هناك اختبار لك بعد الزواج:

ما الذي ستفعله بالنسل الذي كثَّرته؟

فلديك مهمة تخصك وأدوار تتعلق بك، وصفها القرآن بكلمةٍ إبداعية: (مُحصنين). وزِيجاتنا تفشل حين نُقرِّر أن نؤدي وظيفة التكاثر وحدها، وننسى بناء الحصون الآمنة، أو نبني بدل الحصون السجون، أو ربما نحول بيوتنا إلى مكب نفايات نصب فيها أقبح أخلاقنا أو ربما حتى نترك الحصن للأعداء به يعبثون ونذهب لنتسلى بعيدا .

سنخوض في الحلقة التالية جولةً علميةً أخرى في أدوار الأنثى والذَّكَر في غير البشر قبل البدء بما يتعلَّق بنا.

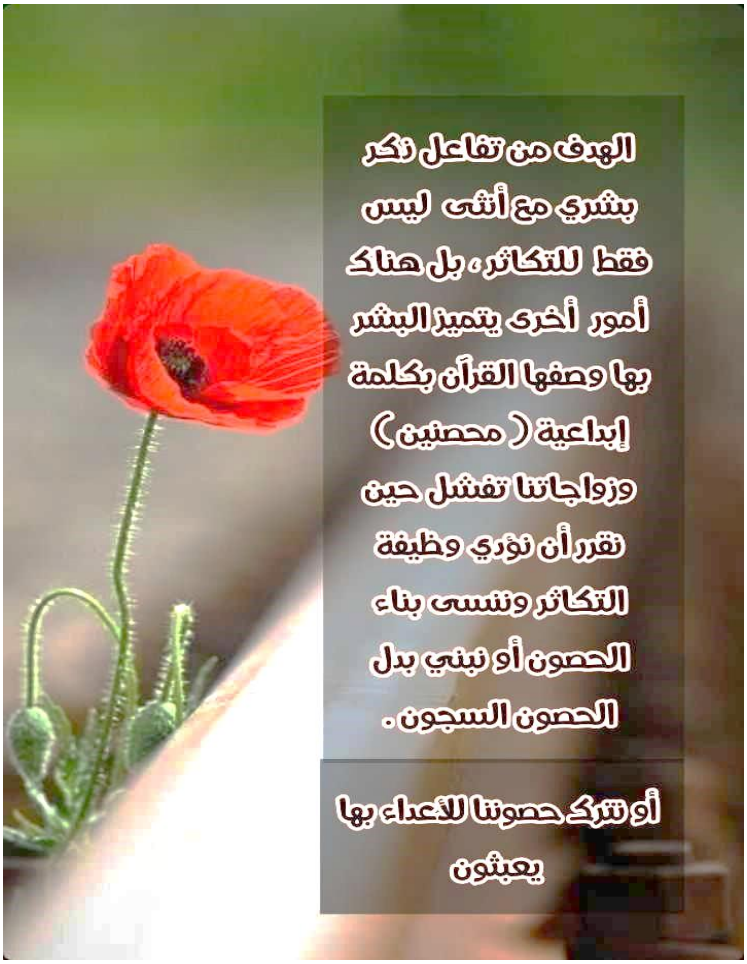

٢. الذكورة والأنوثة في غير البشر

قد تكون وظيفة الأنثى والذَّكر في أذهاننا تعني وجود ذكر يُلقِّح وأنثى تزهر وتثمر إنْ كانت نبتةً، أو تلد أو تبيض إنْ كانت من الحيوانات. وهذا هو الأكثر والأوسع انتشارًا والغالب على الكائنات، لكنَّ الحقيقة أن الأمور بين الذَّكر والأنثى ليست هكذا على الدوام، فهناك استثناءات.

عجائب التكاثر في المخلوقات :

ففي حصان البحر مثلًا، الأنثى هي التي تضع بويضاتها لدى ذكر حصان البحر؛ ليحملها ويلدها من جيبٍ خاصٍّ. وكذلك الأسماك الأنبوبية والسيدراجون. ولكن هذا لا يمكن في الثدييات؛ فقد كتب مؤلفون صينيون في ورقتهم البحثية: (على حدِّ علمنا، لم يتم الإبلاغ عن الحمل مطلقًا في ذكور الحيوانات الثديية).

وأيضًا ليس التلقيح وحده سبب التوالد. فقد اكتشف يوهان دزيرزون نمطًا جديدًا وواضحًا لتحديد الجنس فيما يخصُّ مجتمع النحل، وذَكَر فيه أن الملكة العذراء التي لم تشارك برحلة التزاوج تُنتِج ذريةً خالصةً من الذكور فقط، والتي يكون في بيضتها غير المخصبة مجموعة واحدة من الكروموسومات (أي ١٦ كروموسومًا)، بينما تتكوَّن الملكات والعاملات من بيضٍ مُخصَّب فيه مجموعتان من الكروموسومات. فهي تُنجِب إذن قبل الزواج ذكورًا فقط، وبعده إناثًا، سبحان الله.

هناك أيضًا حيوانات مكتشفة حتى الآن وهبها الله القدرة لتغيير جنسها تبعًا للسن والبيئة المحيطة بها، وتوافر الأزواج، وحاجاتها البيولوجية. فهي تمتاز بامتلاك خصائص الذكورة والأنوثة معًا. بعضها يبدأ حياته ذكرًا يُلقِّح الإناث، ثم لمَّا يكبر وينضج ويملك الطاقة الكافية لإنتاج البيض يتحوَّل لأنثى. ولكن كل المخلوقات الخنثى بحاجةٍ للتزاوج،

لا تلقح نفسها بنفسها، إلا أنها قد تكون في هذا العام ذكرًا يحتاج أنثى، والعام القادم أنثى تحتاج ذكرًا. ومن أمثلة ذلك: دودة الأرض، والحلزون، والبزاقات، وغير ذلك.

القدرة الإلهية وتوزيع الأدوار:

كان الهدف من ذِكْر هذا أن نعرف أن القدرة الإلهية لا تحكمها القوانين، بل ستجد للقاعدة حالات شاذة متى شاء الله؛ لنقول بثقة: (أعلم أنَّ الله على كل شيء قدير). فالنحلة التي تلد قبل التزاوج، والحلزون الذي يحتوي في جسده غدد الأنثى وغدد الذَّكَر معًا؛ يجعلنا نؤمن أنَّ معجزة مريم العذراء لا تعجز الله، وأن الله كان قادرًا أن يجعل النساء كلهنَّ كمريم ولا يحتجن الرجال للإنجاب. متى أراد لحياة الطفل أن تكون بجنس واحد قَدَرَ على ذلك. ولكنه سبحانه... غاية الخلق عنده ليست مجرد أن تنجب أنثى، ولمَّا اختار للإنسان أن يولد من ذكر وأنثى، فذلك لأنه يحتاجهما معًا لنموه السليم، ولأنه يريد أن يُخفِّف عنا ويوزع الأدوار.

التباين الشكلي بين الذَّكَر والأنثى:

هناك أمر علينا التطرُّق له في هذا الباب أيضًا، وهو شكل الذَّكَر والأنثى. فبينما هناك حيوانات لا يختلف فيها شكل جسد الأنثى عن الذَّكَر اختلافًا كبيرًا، ويتساويان في الجمال... هناك في المقابل حيوانات لديها ظاهرة ازدواج الشكل الجنسي، فيكون شكل الإناث فيها مختلفًا عن الذكور، تكون الأنثى أقل ألوانًا... أو مختلفة حجمًا... أو لا تملك بعض الأجزاء التي يملكها الذَّكَر؛ كالقرون والأنياب.

قال الباحثون: (إنَّ افتقار الإناث للزخرف مقارنةً بالذكور هو وسيلة لتتجنَّب جذب انتباه الذكور غير المرغوب فيها). ويمكن ملاحظة ذلك في أغلب الحيوانات، وخاصةً الطيور. فذَكَر الطاووس مثلًا هو أبرز مثالٍ على النظرية السابقة، فالذَّكَر يتمتع بريشٍ مُزيَّن بألوان زاهية عدة، أما الإناث فغالبًا ما يكون ريشها بلونٍ مُوحَّدٍ.

وأوضح ذلك ديفيد هوسكن -الأستاذ بجامعة إكستر- قائلًا: (نحن لا نقول: إنَّ التحرش من قِبَل الذكور هو التفسير الوحيد لعدم تلوُّن الإناث، لكننا نريد أن نُلفِت انتباه الباحثين

إلى أنه أحد العوامل الأساسية).

وهذا أمرٌ لافتٌ أيضًا، فقد كان الله قادرًا على جعلنا بشكلٍ واحدٍ، أو جعل الذكور أجمل، ولكنه وزَّع الجمال بيننا وزاده عند النساء، ووزَّع القوة بيننا وزادها عند الرجال. وعندما وزَّع تكاليف الدين، كان هناك تخفيف على المرأة كونها أضعف، فنقصَ دينُها عن الرجل. ولأن المرأة باتت جميلة وليست كإناث الحيوان، وضع الله فيها الحياء، وطَالَبَها بالعفة والحجاب، وطالب الرجل بالاهتمام بها. هذه العدالة والتوزيعات يرفضها اليوم مَن يبغونها عوجًا، مُطالِبين بالمساواة في التكاليف والأدوار، ونسيان الفروق في الخِلْقة.

دور الذكور والإناث في رعاية الأطفال في عالم الحيوان:

التنوع في أدوار ذكور وإناث الحيوانات كبيرٌ، ويصعب ضبطه بقواعد. فبينما لا توجد وظيفة لذَكَر النحل سوى تقديم خدمة التلقيح، أي: إهداء الملكة كروموسوماته لتخصيب بيضتها ثم الموت... هناك ذكور حيوانات أخرى ترعى البيض كالأسماك الفموية، وهناك ذكور تشارك في حماية الصغار وتدريبهم وإطعامهم، بل في حملهم كما في حصان البحر.

وهناك ذكور تُحضِر الصيد، وهناك ذكور تأكل ما تصيده الإناث. وهناك ذكور لا تهتم بصغارها البتة. وهناك إناث تأكل أو تقتل صغارها، بل إناث تأكل ذكورها كأنثى العنكبوت.

فالحيوانات في هذا الصدد مختلفةٌ بشكلٍ كبيرٍ، ولا يمكن إعطاء صورة واحدة عن حياتها، لكن على العموم:

- أكثر الحشرات... دور الأنثى فيها أكبر للأطفال؛ كالنحل والنمل والعناكب وغيرها.
- أكثر الطيور... دور الذَّكَر فيها أكبر، يبني العش، ويبحث عن الأنثى، ويساعد في إطعام الصغار وتدريبهم وحمايتهم من المفترسات وصدِّ الاعتداءات عليهم، والبطريق أعظم الذكور خدمةً لصغاره.
- أكثر المخلوقات البحرية غير الثديية... لا دور مباشر لها في حياة أطفالها، تبيضهم الأنثى، ويفقسون وحدهم، ويبدؤون العيش بمفردهم، وقد تموت الأنثى بمجرد

فَقْسهم، كما في بعض أنواع الأخطبوط.

- أما الثدييات... فدور الأنثى مع الطفل أطول وأقرب؛ لأنه مرتبط بالرضاعة وتعليمهم أساسيات جلب الطعام بعد ذلك. ولكنْ للذكور عند الثدييات غالبًا دوران رئيسان:

١. اختيار الأنثى والتقاتل عليها.

٢. الحماية للمنطقة التي تعيش فيها الأنثى وصغارها، فأكثرها يمتلك أسلحةً من قرونٍ وأنيابٍ تدافع بها عن قطعانها، وتقوم بوضع الحدود، وفرض السيطرة على المنطقة التي يعيش بها قطيعها لكي تظل بأمانٍ.

ومع هذا؛ هناك أنماط غريبة في الثدييات للحياة الأسرية:

على سبيل المثال؛ الذئب مخلوق عجيب لا يسمح سوى للقائد في القطيع (الذَّكَر) بالزواج من أنثى واحدة طوال عمره، والقطيع كله يهتم بالصغار، ولا يتزوجون.

بينما في الفيلة؛ نجد أن الزواج مسموحٌ للجميع، والاهتمام بالصغير يكون للأم كمرضعةٍ له وحارسةٍ، والقطيع كله يُعِينُ في رعاية الصغار أيضًا إذا احتاج الأمر، فوفاة أمِّ الفيل لا تضرُّه، فالكل يؤدي دورها.

والأُسُود تجد عندها بعض العلاقة الودودة مع زوجاتها وأطفالها.

قرود المكاك تُسلِّم رعاية الصغير للذكر بعد ثلاثة أيام من ولادته، وأحيانًا الأخ الأكبر يرعى الأصغر ويلازمه كظلِّه، ولكن ليست كل القرود كذلك... ففي طباعها مع الصغار تنوُّع.

وعمومًا؛ الإنسان أطول المخلوقات طفولةً؛ فكل أطفال الحيوانات تستغني عن آبائها سريعًا من يوم إلى عامين.

إذن، هذه صورة بسيطة عن تنوُّع أدوار الوالدية في الحيوانات واختلافها. وحين اختار الله لصغار البشر أرحم طرق الرعاية... رعاية مزدوجة متنوعة من جهتين... مع طول زمن

الطفولة؛ فذلك يَدُلُّك على أنَّ الله يريد منهما تركيزًا على الكائن الصغير. والآن؛ هذا كافٍ كلمحةٍ بسيطةٍ عن الذَّكَر والأنثى في عالم الحيوان.

تميُّز البشرية وضرورة تقدير الأدوار:

الخلاصة... لدينا كبشر قوانين مختلفة عن الحيوانات، وعلينا أَنْ نُقدِّر بشريتنا، ونحترم القوانين التي وضعها الله لعالمنا. علينا أن نحافظ على اختلاف المهام بين الذَّكَر والأنثى مع توحيد الهدف. فمحاولة الإنسان دمج الأدوار، وجعل المرأة تتشبَّه بالذَّكَر، والذَّكَر بالأنثى... يؤدي إلى كثرة التنازع. بينما لمَّا نُوحِّد الهدف ونوزع الأدوار نتآلف، وهذه هي طريقة الإسلام.

٣. هل يختلف الذَّكر عن الأنثى؟

الكذبة الأولى التي ستواجهك عندما تسمع للذين يتحدثون حول الأنوثة والذكورة هي: كذبة أنقلها على لسان (كورديليا فاين) في كتاب لها بعنوان «أوهام النوع الجنسي»: (إنه ليس هناك اختلافات عصبية بين الجنسين، وربما تكون هناك بعض الفروق الطفيفة في التركيبة الدماغية لكلٍّ منهما). ويقول أحد الباحثين في جامعة ملبورن في أستراليا: (إنها فروق مَرِنة وقابلة للتغيير. وباختصار، فإن عقولنا ليست رهن النوع، ذكرًا كان أم أنثى، ولا رهن الجينات، وهؤلاء الذين يدَّعون غير ذلك ليسوا سوى أشخاص ذوي أنماط عقلية قديمة تفتقر إلى المصداقية العلمية). وتقول (ليز إليوت) أستاذ مشارك في كلية شيكاغو الطبية: (تشير كل الأدلة العلمية إلى عدم وجود أي نوعٍ من الاختلافات النوعية بين مُخَّي الذَّكر والأنثى).[١]

فهل فعلًا الذَّكر والأنثى لا فرق بينهما، والمجتمع هو الذي يُسبِّب اختلاف تصرفاتهما وأفكارهما بسبب التربية؟

بمعنى لو أننا تركنا ذكرًا وأنثى في غابةٍ بدون تدخُّل المجتمع، هل فعلًا سنجدهما لا يختلفان في التفكير ولا الميول ولا المهارات ولا التوجُّهات والمسؤوليات؟

ما قدَّمناه عن الذكورة والأنوثة في عالم الحيوان هو أول الأدلة على كذب هذا الادِّعاء، فسلوك الذَّكر يختلف تمامًا عن سلوك الأنثى في عالم الحيوان؛ بدون ضغطٍ مجتمعيٍّ.

الهدف من هذه الكذبة هو الاستهتار بما يحاول المجتمع والدين تقويته في الذَّكر من الرجولة التي تعني الأخلاق والمسؤولية، وفي الأنثى من الأمومة التي تعني الأمان والحنان. ليقول للمرأة: مجتمعك هو الذي حكم عليك بوظيفتك كأمٍّ... لا تطيعي المجتمع. ويقول للرجل: مجتمعك هو الذي فرض عليك مسؤولياتك المالية، ومسؤولية الوفاء لأسرتك...

---

(١) من مجلة الخليج، من مقال بعنوان: «الاختلافات بين الذكر والأنثى حواجز يصنعها المجتمع...».

فتَخَلَّصْ منها.

تقول (بيتي فريدان) في كتابها «اللغز الأنثوي»: (الثقافة الأمريكية تصرُّ على أن الإنجاز الأكبر في حياة المرأة يكون بالزواج، وبكونها ربة منزل صالحة، ولكن لا يمكن بعد الآن أن نَغُضَّ الطرف عن الصوت الثائر بداخل النساء، والذي يقول: أريد شيئًا أكبر من زوجي وأطفالي).

الرجال أيضًا بحث أكثرُهم عن شيءٍ أكبر وأهم من زوجاتهم وأطفالهم، ولكنهم لم يقولوا ذلك بلسانهم. نقل عايض الدوسري الإحصاءات التالية:

«ذكرت الباحثة التربوية والنسوية شيري هايت (Shere Hite) في دراستها عن النشاط الجنسي لـ(٧٢٣٩) من الذكور: أن ٧٢٪ من الرجال المتزوجين لأكثر من عامين قد خدعوا زوجاتهم أو شريكاتهم (رفيقاتهم).

وفي دراسة مسحية حديثة لطلاب الجامعات أجراها الباحث غاري هانسن (Gary Hansen)، ونُشِرت في مجلة (Archives of Sexual Behavior)، وجدت الدراسة أن ٧٠٪ من الشباب الذين شملهم الاستطلاع لديهم علاقات مع شخص آخر (غير شركاء المواعدة الثابتة)، على الرغم من أنهم يعارضون تعدُّد الزوجات!

كذلك وجدت الدراسة التي قام بها (فيليب بلومستين، وبير شوارتز) أن ٦٤٪ منهم قد قاموا بتكرار عمليات خيانة رفيقاتهم الخاصات جنسيًّا مع ما بين (٢-٥) من الفتيات الأُخْرَيات! ووصل عدد الخليلات اللاتي ضاجعهن بعض هؤلاء -خيانةً لصديقاتهم- إلى (٢٠) فتاةً!

وفي الدراسة نفسها؛ غطَّت أيضًا المتزوجين، ووجدت ٧١٪ من الأزواج قاموا بالتلاعب ومغازلة فتيات أُخْرَيات بشكلٍ متكررٍ، وأن ٤٢٪ منهم لديهم ما بين (٢-٥) شريكات خارج نطاق الزواج، وأن ٢٢٪ قد مارسوا الجنس بالفعل مع ما بين (٦-٢٠) امرأةً!!

حسنًا؛ امرأة تبحث عن إنجازات أكبر من زوجها وأطفالها... عليها أن لا تلوم زوجًا يبحث عن إنجازات أكبر منها ومن أطفالها. فالكاذبون قالوا: إنهما لا يختلفان إلا اختلافات طفيفة، فسيتصرفان بنفس الطريقة.

الاختلاف بين الذَّكر والأنثى: القرآن والعلم يؤكدان...

لكن القرآن والعلم يُكذِّبان هذه الفكرة... الله تعالى يقول في القرآن: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦]، كما نفهم هذا الاختلاف من آيات أخرى تشير للاختلاف؛ مثل قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨].

هناك اختلاف حقيقي ونوعي بين الجنسين، وعدم التسليم لهذه القاعدة هو أول وأكبر أسباب الخلل في التواصُل بين النوعين.

هيا نرى العلم الحقيقي الصادق ماذا يقول عن الأنثى والذَّكر والفروق الأساسية بينهما...

هل فعلًا الاختلافات طفيفة جدًّا بين الذَّكر والأنثى، ولا تُذكَر؟

في البداية؛ دعوني أصدمكم بأنِّي لو جئتُ بعظمةٍ لهيكلٍ قديمٍ مُتحلِّل، وقدَّمتها للمتخصصين، فبإمكانهم معرفة جنس صاحب العظمة بعد دراستها. وفوق ذلك؛ لو حَدَثت جريمة ووجدنا بصمةً، فأيضًا يعرف المختصون جنس صاحب البصمة. فخطوط الرجال أكبر... وخطوط النساء أدق. ثم يخبرونك أن الاختلافات طفيفة!

المزيد من الاختلافات الواضحة:

هيا نُعدِّد المزيد من الاختلافات:

١. **اختلاف جيني أساسي:** كروموسومات الجنس (XX) هي واحدة من (٢٣) زوجًا من الكروموسومات المتجانسة في الأنثى. الجنس يُحدَّد من خلال وجود الكروموسومات الجنسية. على عكس الكروموسومات الجسمية؛ فإن الكروموسومين الجنسيين X و Y لهما حجمان مختلفانِ، ويحتويانِ على عددٍ مختلفٍ من الجينات. الكروموسوم X كبير، ويحتوي على (٩٠٠) جين تقريبًا، ولكن الكروموسوم Y صغير، ويحتوي على (٥٥) جينًا فقط تقريبًا.

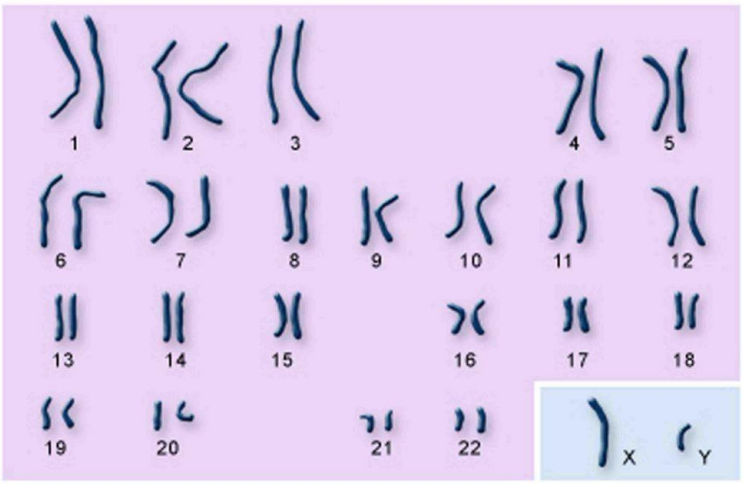

كم عدد الكروموسومات في جسم الإنسان؟

كل خلية داخل جسم الانسان تحتوي على 23 زوجًا من الكروموسومات يعني أن المجموع الكلي 46 كروموسومًا. 22 زوجًا منها تسمى بالكروموسومات الجسمية والتي نفسها في الذكور كما في الاناث أما الزوج الثالث والعشرين فيسمى بالكروموسومات الجنسية والذي يفرق بين الذكور والاناث فالاناث تحتوي على نسختين من الكروموسوم X اما الذكور فلديهم كروموسوم واحد X والكروموسوم الآخر Y

www.iraqi-res.com iqires iqires الباحثون العراقيون

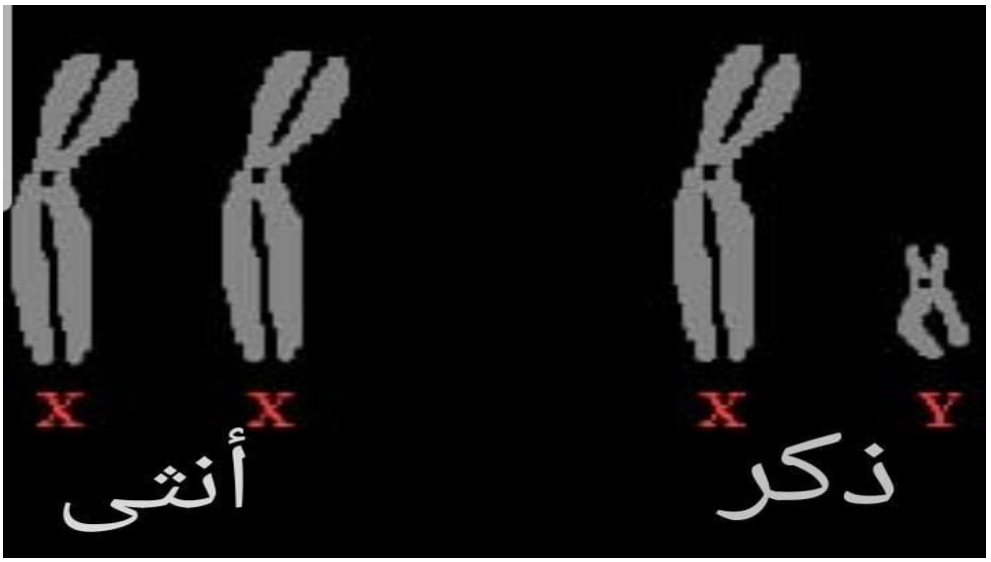

٢. **اختلاف الهرمونات**: الاختلاف والتباين يكمن في هذا الهرمون المسمَّى (هرمون الذكورة التستوستيرون)، فهو المسبِّب الرئيس للاختلافات البيولوجية بين الجنسين؛ لقد خُلِقَ الرجل يحمل هرمون التستوستيرون عشرة أضعاف الذي تحمله المرأة. تبدأ الفوارق بين الذَّكر والأنثى في رحم الأم، وتظهر للعالم منذ الولادة. تضيف الباحثة (آن موير): «إنها إحدى القصص الآسرة للحياة والخلق؛ قصة مطوية على نطاق واسع؛ ولكن الآن وأخيرًا بدأت تتجلَّى في كُلِّيَّتِها، نحن نعرف أن الجينات تحمل مُخَطَّطًا مرموزًا لخصائصنا في الحمض النووي (D.N.A)، التي تجعل منا ذكرًا أو أنثى؛ فأي خلية مجهرية من جسم رجل تختلف عن أي خلية مجهرية من جسم امرأة؛ لأن كل خلية من كياننا لها مجموعة مختلفة من الكروموسومات من داخلها، متوقفًا على كوننا ذكرًا أم أنثى».

إن الهرمون الذَّكري التستوستيرون أو هرمون منشط الذكورة هو المؤثر الأكبر على الدماغ وبقية الجهاز العصبي المركزي، فيقوم بدور تحديد جنس الدماغ ابتداءً من طور الجنين في رحم أمه، وحتى تدفُّق هرمونات الحلُم في سن البلوغ؛ حيث تتحدَّد مستويات الجنس للدماغ الجنين نسبةً إلى كمية هذا الهرمون في الرحم، والذي تُفرِزه الخصية أصلًا، ومِن ثَمَّ؛ تتحدَّد الاختلافات في السمات العقلية بين الجنسين؛ كنمط الإدراك، والقابلية والاستعداد، والاهتمام، ونحو ذلك.

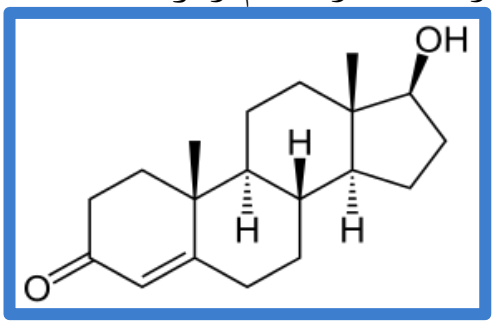

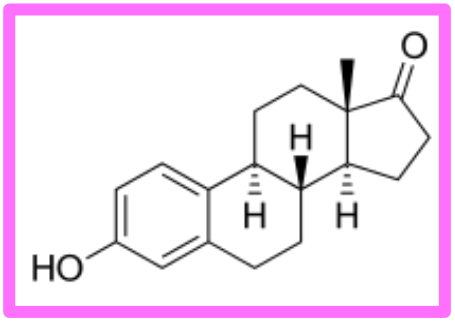

٣. **الاختلافات في الصفات التشريحية الجسدية وأطوار البلوغ والشيخوخة**: توجد فروق في التركيب التشريحي بين كلٍّ من الذَّكر والأنثى البالغين، خصوصًا في الجهاز البولي التناسلي، وهذا معروف بين الناس. وما لا يعرفونه أن الجنسين يختلفان كذلك في حجم كلٍّ من المعدة والكليتين والزائدة الدودية، وكلها أكبر حجمًا في الأنثى البالغة عنها في نظيرها

الذَّكَر البالغ، بينما يتفوق هو في حجم كلٍّ من الرئتين والقلب والكبد والعضلات؛ فالقلب في الأنثى البالغة أصغر حجمًا عن نظيرها الذَّكَر بنحو ٢٥٪، وعدد ضرباته أسرع بنحو ١٠٪، وضغطه أقل بنحو ١٠ مم زئبق.

كما أنَّ هيكل المرأة العَظْمي أخف من هيكل الرجل العَظْمي، واتساع عظام الحوض عندها أكبر عن الرجل لقدرتها على الحمل والولادة، وعضلاتها أضعف من عضلات الرجل بمقدار الثلث؛ مما يجعل قدرتها على الحركة وممارسة الأعمال الشاقة أقل من الرجل. ولكنها تَفضُله بنسيجها الخلوي الذي يحتوي على كثيرٍ من الأوعية الدموية، والأعصاب الحسَّاسة، ونسيجها الخلوي يسمح لها باختزان طبقة دهنية، وبفضل هذه الطبقة الدهنية تكون استدارة الشكل، وتنفُّسها أسرع من تنفُّسه.

وعدد كريات الدم الحمراء يقل بنسبة ٢٠٪ في الإناث عن نظائرها من الذكور، كما أن التركيز العددي للخلايا الدموية البيضاء يختلف ونسبة الهيموجلوبين أيضًا. ويبدأ الذكور في البلوغ من سن (١٠-١٤) سنة، بينما تبدأ الإناث في البلوغ من سن (١١-١٥) سنة. والرجل يصل إلى الشيخوخة بين (٥٥-٦٥)، وتبدأ المرأة طور الشيخوخة بين (٤٥-٥٥) سنة بصفة عامة.[١]

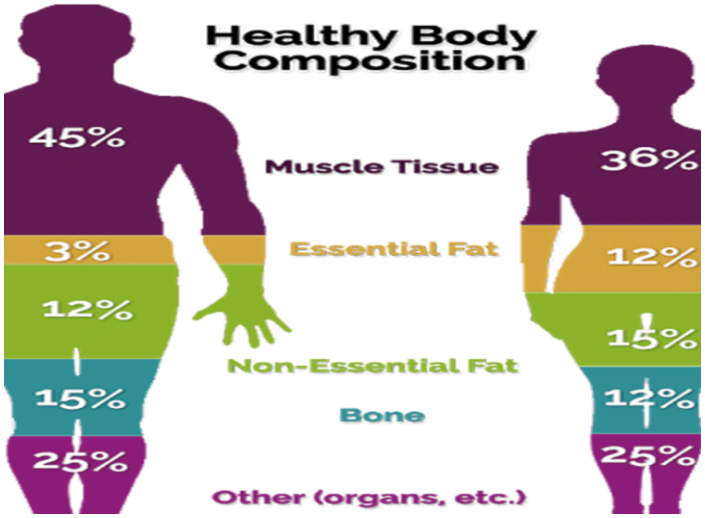

(١) هذا ملخص من بحث في إعجاز قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾؛ للأستاذ حنفي مدبولي.

٤. **الفروق بين دماغ المرأة والرجل:** بشكلٍ عام؛ يحتوي الدماغ عند الرجل على مادة رمادية أكثر بنسبة ٥,٥٪ عما لدى النساء، وبالمقابل يحتوي دماغ المرأة على مادة بيضاء أكثر بنسبة عشر مرات مما عند الرجل. والمادة الرمادية تكوِّن بشكلٍ رئيسٍ مركز الدماغ لمعالجة المعلومات، في حين أنَّ المادة البيضاء تُمثِّل بشكلٍ رئيسٍ شبكة الاتصالات بين الخلايا والفصوص الدماغية.

وهذا يوضح قدرة الرجل على معالجة قضايا تتطلَّب نشاطًا في مراكز خاصة؛ مثل: الرياضيات، في حين تكون قدرة المرأة أفضل في جمع المعلومات من المراكز الخاصة وإعادة تقييمها وربطها؛ مثل اللغات.

وقد درس العالم (جولدتشن) وآخرون حجم الدماغ في كلا الجنسين، وتبيَّن لهم أن الاختلاف في دماغ الرجل أكبر ١٠٪ من دماغ المرأة، ويملك حوالي (٤) مليارات خلية دماغية أكثر مما في دماغ المرأة. وأنَّ طول الخطوط العصبية عند الرجل يعادل (١٧٦،٠٠٠) كيلومترًا، بينما عند المرأة يعادل (١٤٩،٠٠٠) كيلومترًا. ويتألَّف أغلبيته عند الرجل من المادة الرمادية، وعند المرأة من المادة البيضاء.

وبيَّن الدكتور (Larry Cahill) أنَّ دماغ الرجل يعالج المعلومات بطريقةٍ مختلفةٍ جدًّا عن دماغ المرأة، حتى في حالة الراحة. وتُبيِّن الدراسة أن دماغ الأنثى يختلف عن دماغ الرجل في تخزين المعلومات بالنسبة للذاكرة الطويلة، أي: أن الرجل يستعمل مناطق من دماغه تختلف عن المرأة في تخزين المعلومات لفترة طويلة. ومع تقدُّم العمر تُبيِّن الأبحاث الحديثة أن المرأة تؤدي عملها بطريقةٍ مختلفةٍ عن الرجل. مُخُّها أقل ثَنْيَات، وتلافيفها أقل نظامًا، والقسم السنجابي (القسم الإدراكي في المخ) أقل مساحةً، لكنَّ مراكز الإحساس والإثارة والتهيّج أشد فاعليةً بكثيرٍ من مراكز الرجل.

ومن الاختلاف: أنَّ المرأة زوَّدها الله في دماغها بخلايا مختصة بتحمُّل الألم والضغوط والإجهادات أكثر من الرجل، ونسبة الموت بأمراض القلب لديها أقل؛ لذلك بالمتوسط العام تعيش النساء سنوات أكثر.

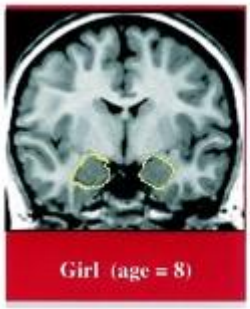

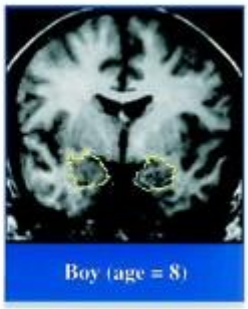

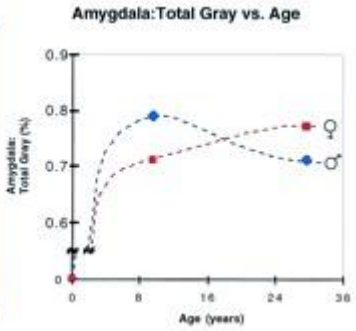

الاعتراف بالاختلاف لبناء علاقة أفضل:

هل تعبتم من كثرة الفروق؟ هناك المزيد ولكن هذا يكفي. باختصارٍ، كُلُّ الأنثى مختلفة عن كُلِّ الرجل جسديًّا وعقليًّا. وهذا يَدُلُّك من البداية أن هذا كله لم يحدث بسبب المجتمع، بل قرَّر الله هذا الاختلاف لأنَّ المهمات لكُلٍّ منهما مختلفة غاية الاختلاف. باختصارٍ، هما ليسا متشابهين سوى في الإنسانية، وساواهما الله في الحساب يوم القيامة، فلن يُفضَّل رجلًا على أنثى لرجولته، ولا أنثى على رجل لأنوثتها. فرجولة الذي وَأَدَ طفلةً وأكل ميراث امرأةٍ لا تنفعه ليهرب من النار، ولو قدَّم ألف دليل أنه كان من أشجع فرسان قومه. وكذلك كل فضل الأمومة وتعبها لا ينفع أُمًّا لم تُعلِّم ابنها عبادة الله واحترام حقوق الآخرين، ودَعَته للظلم لتنتقم ممَّن تغار منهم، وأمرته بالسير على شريعة أهوائها.

بناءً على فهم كُلٍّ منهما لوظيفته وأدائها ابتغاء رضوان الله، والتركيز عليها وإتقانها؛ يكون تفضيلنا عند الله لا بناءً على جنسنا.

نستفيد من كل ما ذكرنا أننا مختلفون وعلينا الاعتراف بهذا أولًا، ثم التوقُّف عن إثبات فَضْلِ كُلٍّ منا على الآخر. قال تعالى: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٤]، فلم يَقُلْ: بما فضَّلها عليه، ولم يَقُلْ: بما فضَّله عليها. كلاكما مُتفضِّل على الآخر بشيءٍ، ومتميز بشيءٍ، فلا داعي لإنكار فَضْل الآخر، وتكبير فَضْلنا؛ لدفعه للامتنان ليرد لنا مقابل أفضالنا عليه طوال الوقت.

كان مِن أول ما نزل من القرآن: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦]. ولا زال البعض

يستنكر ويمنُّ على شريك حياته، محاولًا استنزافه؛ ليُعوِّض ما تفضَّل به عليه، وكأننا لا نؤمن بأنَّ لنا عوضًا عند الله... على الزوجين إدراك أن الجنس الآخر لا يشبهنا أصلًا.

لذلك، لا نستطيع مقارنة أنفسنا به. يقارن الرجل نفسه بالأنبياء... والمرأة نفسها بصالح النساء. وما دمنا سنتوقف عن المقارنة لإثبات أفضالنا للآخر، لا زلنا نستطيع أن نثبت لله أننا نفعل أفضل ما لدينا في مهماتنا، ونتمنى لشريكنا أن يُوفَّق في مهماته، وندعمه، ونطلب من الله الجزاء على الخدمة الكبيرة التي يُقدِّمها كلانا لأُسَرنا.

وبهذا تلاشت الكذبة الأولى... والحمد لله.

٤. مفـــهوم المســـاواة

في إحدى مناظراته مع بعض النسويات؛ أنهى (جوردان بيترسون) المجادلة بقوله: «الرجال أعنف من النساء في الغالب، ولهذا الرجال في السجن أكثر من النساء، هل تريدين المساواة في هذا أيضًا؟».

دعونا نعرف أولًا أن هناك مساواة أو تكافؤ جاء به الدين، ويتفق معه أصحاب الأخلاق؛ قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ﴾ [النساء: ٣٢]، و﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧]،و ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ﴾ [النحل: ٩٧]. وفي الحديث: «إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ».

ولكنَّ دعاة المساواة الذين نعارضهم يطالبون بالمساواة غير الممكنة في المهام، لا في الأجور والحقوق. بمعنى: أنَّ الرجل والمرأة عليهما أنْ يعملا كلَّ شيءٍ معًا، ولا يكون لأيِّ أحدٍ منهما مساحة خاصة به يقتضيها جنسه... فعليهما معًا جلب المال ومعًا رعاية الأطفال. وعادةً يرفض الرجل المساواة التي تلزمه برعاية الأطفال، ويقبل المساواة التي تُخفِّف نفقاته، وتُلزِم المرأة أن تُنفِق نصف الأجر. وتبقى المرأة تُطالِب بالمساواة أيضًا، فتشارك الرجل في جلب المال، ثم لا يشاركها في رعاية الأطفال... فتشتكي مرتين.

أين الخَلَلُ؟ أصحاب تلك المطالب يبدؤون تلك الدعوى للمساواة على أصل تحقير دور المرأة وتعظيم دور الرجل. وبالتالي؛ هذا الدور الحقير للمرأة -بنظر هؤلاء- عليك البحث عن دور أكبر منه، أي: دور الرجل. علمًا أن ديننا عظَّم دور الأم في الأسرة بحديث: «**أمك ثم أمك ثم أمك**»، وقوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان: ١٤]، ولم يتحدَّث عن

دور الرجل في مقابل الحمل، ولكنه تحدَّث عن دور الرجل العظيم في المجتمع، وحماية المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، وإيواء ونُصْرَة الضعفاء، وإطعام الفقراء، وإعمار المساجد حين يكونون صالحين.

دعاة المساواة لا يُقدِّرون وظيفة الأنثى في الأسرة، ولا يفهمونها، ويحتقرونها، ثم يُقنِعون المرأة أن دورها حقير، وعليها أن تنتقل لأدوار الرجال، ويُمثِّلون أنهم يريدون إكرامها. الأمر بالنسبة لي يشبه شخصًا لا يفهم دور الشمس المؤنثة؛ لجهله أو لمرضٍ في جلده أو عينيه أو لأنه بومة تعيش في الظلام، ويطالبها بأنْ تصبح كالقمر، ويتغنى بالقمر وجماله وأمجاده، يوهم الشمس أنَّ مكانتها أصلًا ليست بالشيء المهم المعتبر، ولن يحب الشمس حتى تصبح قمرًا مُذكَّرًا. لا شكَّ أنَّ مَن فهم هذا استفاق وخرج من الخدعة.

فأنا لو كنتُ رجلًا فاسدًا كسولًا ومستغلًّا، أريد التسكُّع بين النساء ورؤية أفخاذهنَّ وشعورهنَّ، وسماع جمال أصواتهنَّ بالمجان، ولا أريد القيام بمسؤوليتي ودوري، ولا أحب زوجتي لدرجة أنْ لا يهمني مقدار تعبها وما ستتعرض له في الخارج، بالتأكيد سأقنعها بأنْ تعمل ولا تنجب الأطفال. لماذا عليَّ أن أنفق على امرأةٍ لا أحبها طوال عمري؟ ولأحقق ذلك أنا ومَن يشبهني سأصنع إعلامًا يُقنِع المرأة أنها بدون العمل لا شيء، وعليها المساواة مع الرجل.

بَشَريَّانِ مختلفانِ بمهمتينِ مختلفتينِ وتركيبينِ مختلفينِ ومكانين مختلفين، ثم تريد من أحدهما التنازل عن دوره ليقوم الآخر بدوره... ما أكذب دعاة المساواة!!!

تحقير دور المرأة بدأ من وأد الإناث القديم... جهل يجعل الرجل يُفكِّر بأنَّ مهمة جلب المال... وقتال الأعداء... وإقامة المصانع... واختراع الأدوات... وإدارة الشركات التي يستطيعها الرجل؛ أهم من مهمة جلب الأطفال، وتقبيلهم، وحضنهم، وإرضاعهم، وسرد القصص، وتدريبهم على الكلام، والصدق، وضبط النفس التي تستطيعها الأنثى بفضل القدرات الخاصة الموجودة بها.

هكذا يفكر الجاهلي : (الأنثى لن تُعِينني على مهمتي... بل ستأخذ مني مالي، وتقاسمني

فيه؛ فهي مخلوقٌ لا يلزمني، أو يلزمني بقَدْرٍ ضئيل جدًّا كالملح في الطعام، تُحقِّق شهوتي وترحل، ولا تطالبني بشيءٍ؛ بحيث تكون نفقاتي أقل، وبنفس الوقت أجلب منها ذكورًا يعينونني في جمع المال، وتُعِينُنِي على تربيتهم حتى يكبروا قليلًا... وإذا اكتفيتُ أهملتُها، ووأدتُ بقية مَن تلدُ من البنات). إذن؛ هو تَمحور حول الذات ومنافعها لا يختلف عن طريقة تفكير كثير من أجيال اليوم الفاسدين الذين لا يرون النساء شيئا.

رد فعل النسويات

وعلى العكس تمامًا؛ خرجت النسويات بفكرة تحقير دور الرجال ومنافستهم في كل ملاعبهم، واقتحام كل مساحاتهم، وسرقة كل مهاراتهم، والاكتفاء بالإنجاب بالتلقيح، وإقناع أنفسهنَّ أن الطفل لا يحتاج الأب، وأن دور الشمس للأطفال يُغنِي كليًّا عن دور القمر، ولا حاجة للرجل في حياتهنَّ، ولا حياة أطفالهنَّ. ولو وُجِدَ؛ عليه أن يكون أبكم أصمَّ أعمى، لا يتكلم، ولا يُبدِي رأيه؛ حتى في رغبتها بالزنا، ولا يساعد في التوجيه. (الأطفال من رَحمي... وهم لي وحدي فقط، سآخذ نفقات منه... لأنه كان والدهم، وأسمح له أن يعين بقَدْرٍ ضئيل كالملح في الطعام... يعطيني المال والمدح ويمضي). تمحورٌ حول الذات أيضًا.

كُلُّ هذا يحدث من الجهل العميق بسُنَّة الله في الكون، ودور كل جنس في الحياة، واختلافه الكلي عن الطرف الآخر وأهميته في مكانه، وأنه لم يُخلَق لينفعني أنا وحدي، فآخذ منه ما ينفعني، وأعيقه عن مهمته الأكبر التي لا تنفعني مباشرةً، بل تنفع الأسرة على المدى البعيد. تلك القدرات في الجنسين وُجِدت لأجل حماية الصغار وحياتهم. وفَقْد أيِّ دورٍ يُضِرُّ الأطفال، ويُضِرُّ ميزان الحياة، ويُنشِئ مَرضَى نفسيين... وإحصائيات الأُسَر المفكَّكة خيرُ شاهدٍ.

أختصر الفكرة لتلخيص ما سبق: رجل لا يعرف أهمية دور المرأة للأطفال، ولا يريد منها سوى دورها الذي ينفعه فقط: الجنس، وإنجاب الذكور، والخدمة. وامرأة لا تعرف أهمية دور الرجل للأطفال، ولا تريد منه سوى دوره الذي ينفعها فقط: الخدمة، والمال، والمدح.

كلاهما سببٌ في مشاكل تمتد للجيل التالي: حين تعيش بنت في مجتمع احتُقِرت فيه المرأة ودورها ووظيفتها، تكره جنسها، فتحاول التخلص منه بالتحوُّل الجنسي. وكذلك

الشاب الذي عاش في بيئة نسوية تحتقر دور الرجال، ويرى أن قيمته ترتفع بامتلاك الصفات الأنثوية؛ يتخلص من جنسه بالتحوُّل الجنسي. وإنْ لم يتخلص منه لقلة المال، يظل ذَكَرًا على الحقيقة لكنه يتشبَّه بالنساء، والعكس تظل أنثى لكنها تقوم بدور التشبُّه بالذكور. وإن لم يفعل كلاهما هذا ولا ذاك... وصل الحال بهما إلى الشذوذ الجنسي. فهو يرى جنسه أشرف من الجنس الآخر، فيتقزَّز من الاتصال بجنس النساء المنحط، ﴿**أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ**﴾ [الشعراء: ١٦٥-١٦٦]، وهُنَّ يتقزَّزْنَ من جنسٍ مُتكبِّرٍ مُتسلِّطٍ.

وصلت كثيرٌ من المجتمعات -سواء عربية أو غربية- إلى ذلك الحال للأسف، فكلُّ المجتمعات التي فيها غلوٌّ وأنانيةٌ، سواء تفوَّقت فيه أنانية الرجل أو تفوَّقت فيه أنانية المرأة؛ لا تخدم البشرية في شيءٍ.

العدل القرآني والسنة النبوية:

وكلَّما قلَّتِ الأنانيةُ وصلنا إلى العدالة القرآنية والإسلامية في حقِّ كلا الجنسين... إلى احترام مهمتهما وتمكينهما من ممارسة وظيفتهما تجاه الأجيال اللاحقة... ونيل حقوقه كاملة مقابل تلك الوظيفة.

في القرآن يقول تعالى: ﴿**وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ**﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ**﴾ [النساء: ١٩]. وفي السُّنَّة؛ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**النساء شقائق الرجال**»، «**إني أحرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة**»، «**إنَّ الله أوحى إليَّ أنْ تواضعوا، ولا يبغي بعضكم على بعض**»، «ما حق المرأة على الزوج؟ قال: **أَنْ يُطعِمها إذا طعم، وأنْ يكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجهَ، ولا يُقبِّح، ولا يهجر إلا في البيت**»، وغير ذلك كثيرٌ وعلى العكس نصوص تعظم حق الرجل كما فعلت مع الأنثى .

فالحمد لله على الدين الوسط، الذي لا يساير كِبْر النساء، ولا كِبْر الرجال، ويُقيم ميزان العدل بينهما.

لو كنت رجلا فاسدا كسولا ومستغلا أريد
التسكع بين النساء ولا أريد القيام
بمسؤوليتي ودوري ولا أحب زوجتي
لدرجة أن لا يهمني مقدار تعبها وما
ستتعرض له في الخارج بالتأكيد
سأقنعها بأن تعمل ولا تنجب الأطفال
لماذا علي أن أنفق على امرأة لا أحبها
طوال عمري ؟؟

٥. دور الرجل في الأسرة: مسؤوليات أساسية لبناء أسرة قوية

سنتحدث هنا عن عدة أدوار للرجل في حياته الأسرية الخاصة (زوجته وأبنائه فقط)، لن نتحدث عن أدواره مع والديه ومجتمعه ودينه وغير ذلك. وسأقسم كل هدفٍ بمقالٍ صغيرٍ؛ لكي يسهل عليكم.

أ- الاختيار أساس بناء الأسرة:

عندما يفتتح ملك بلدًا يختار العاصمة المناسبة التي يستقر فيها. أول أدوار الرجل في حياته الأسرية الجديدة أن يختار العاصمة التي سيسكن هو وأولاده فيها، والعاصمة هنا هي الزوجة. نعم، لقد سمَّى الله الزوجة سَكَنًا. ولو بحث الرجل عن الزوجة بعنايةٍ كما يبحث عن مواصفات ممتازة لبيتٍ يسكنه؛ لكانت أمور الحياة أفضل.

لكن حين لا يقرر الرجل أن يكون ملكًا، ولا يريد لدولته عاصمة... سيكون سارقًا للمتعة فقط، عندها لا فرق بين كل النساء، كلهنَّ سيستلذ بسرقتهنَّ.

عندما تبدأ مهمتك الأولى كرجل حقيقي، أي: تبدأ بالاختيار، أكبر خطأ يمكنك التفكير به أن لا تبحث في الأنثى سوى عن المكان الذي ستقضي فيه شهوتك، دون التفكير بأولادك وشعبك. واختيار الأنثى المناسبة مهم جدًّا وهو أساس أدوارك في الأسرة.

يساعدك الإسلام في قرار الاختيار ليخبرك أنه (يُفضِّل الكتابية العفيفة على الزانية غير العفيفة في بعض الأحوال)؛ و(العفيفة المسلمة الدَّيِّنَة على كل النساء في كل الأحوال).

إنَّ التي تستطيع تنظيم شهوتها وحماية جسدها، وتستطيع ضبط رغباتها، والصبر حتى تنال مَن يُكرمها؛ تستطيع بالتأكيد أن تنظم حال الأسرة أفضل من غيرها. فالعفاف أهم صفة ثم تبحث عن سمات أخرى بعد العفاف؛ مثل: النَّسَب المجتمعي الجيد؛ لأنها بالتأكيد ستحفظ اسم عائلتها، وكذلك جيد لو كانت من وضع مادي مقاربٍ لوضعك، وعُرِفت

بالأخلاق والجمال المقبول لك، وحب العلم مع هذا كله مهم.

قرأتُ لدى أحد الكتاب الأجانب طريقة لمساعدة الذين لا يحسنون اختيار شريك الحياة سأستفيد منها وسأحذف منها ما لا يناسب عقيدتنا:

أحضر ورقةً... واكتب فيها كل مواصفات الأنثى التي تتمناها لك ولأولادك... ولا تنسى أي تفاصيل شكلية وأخلاقية وعلمية وتعامُلية وتربوية ودينية. ثم فكِّر في نفسك وقُلْ: هذه الأنثى المميَّزة تحتاج رجلًا مميزًا؛ كي ترضى به، وكي تحبه، وكي توافق أن تنجب له أولاده، وتبقى في مملكته. ثم اكتب المواصفات التي يجب أن تتوفر في رجل مناسب لتلك المرأة، ولا تنسى أي تفاصيل علمية، أخلاقية، حوارية، دينية، عاطفية. تخيَّل المسائل التي قد تختلفان فيها، وكيف لك أن تكون مُقنِعًا لها ومَن سيحكم بينكما، كيف ستفعل حين تغضب منها وحين ترضى. تَعَلَّمْ أكثر عن الزواج وحقوقكما. وابدأ بتطوير نفسك... لا تظن أن مالك كافٍ للتغطية على كل عيوبك. ستكتشف الزوجة نقاط ضعفك بسرعةٍ... ولن تكون مسرورًا حين تكون مع امرأةٍ تحبها ولا تحبك... جهِّزْ نفسك لتكون خليفةً جديدًا في الأرض، ولا تَنْسَ أنْ تطلب من الله -بالدعاء طوال تلك الفترة- أنْ يَدُلَّك على تلك الفتاة المميزة... وأن يجعلك زوجًا صالحًا لها؛ لتستحقها، ولا تفتنها.

ولكن لو تزوجتَ ووجدتَ شيئًا مختلفًا عما تريد، ولكنه ليس معصية؛ مثلًا: (بطيئة، حسَّاسة، غيورة، خجولة)، فلا بأس لأنَّ الأنثى الكاملة أصلًا غير موجودةٍ معنا على الأرض، ولا الرجل الكامل ، عَامِلِ الناقصةَ بشكلٍ جيدٍ لتحصل على هديةٍ كاملةٍ من ربك في الجنة. لا تنتقدها بالكلام، أَخْبِرها بما تحبُّ لكي تحاول لأجلك. لا تطالبها بالكمال؛ لأنها ستطالبك به، ولن تستطيع عندها صبرًا. ذكِّر نفسك بـ ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢١٦]. فالمرأة إنْ أحبَّت أحدًا فلديها من المرونة، ولديها طاقة غيرة شديدة؛ تجعلها تستطيع التغيير لأجلِ مَن تحبُّ.

في حال لم تَقُمْ بدورك هذا، أو لم تفكر في أهميته سابقًا، واخترت بدون عنايةٍ، ولم تُجهِّز نفسك أيضًا... لا زال أمامك فرصة تعليم أهمية الاختيار لأولادك، وزرعه فيهم. ولديك

فرصة محاولة تطوير زوجتك ونفسك بعد الزواج. وإذا كنتَ لم تتزوج، وحاول المجتمع أو الأسرة الأولى (والداك) حرمانك من الاختيار... فنَاضِلْ لأجل دورك، ولا تتنازل عنه، وتزوَّجْ مَن تناسبك أنت وأولادك، ويرضى عنها ربُّك، وتُثبِت لله أنك كنت رجلًا عندما اخترتَ لأولادك أفضل ما يمكن. وقبِّلْ يَدَي والديك، واعتذر منهما بلطفٍ؛ لأنك سترفض التي سيجبرونك عليها، وهي لا تناسبك، وأَطِعْ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

ب- التخطيط لمستقبل الأسرة قيادة واعية نحو الهدف الأسمى:

الدور الثاني من أدوار الرجل هو التخطيط لمستقبل الأسرة يعني ضبط الهدف العام للأسرة... كثيرًا ما يكون هدف الرجل من زواجه تلبية نداء الغريزة، ومن إنجاب الأبناء كذلك غريزة التكاثر. بعد ذلك؛ لا يوجد له أهداف، إلى أين ستسير هذه الأسرة، إلى جنةٍ

أو نارٍ... لا يهمه. أعلم زوجات لديهنَّ مشاكل في العقيدة، وحين أطلب منهنَّ التعلم... يَقُلنَ لي: (زوجي يمنعني من دخول الدورات)، هو والله لو دَخَلَتِ النار وماتت جاهلةً بربها ونفسها لا يهتم. لا يمكنك أن تسير بالأسرة وأنت أعمى لا ترى إلا أهدافك الشخصية خارج الأسرة . حسنًا، أتوقَّع منك أن تعيد التفكير في موضوع الهدف هذا، فإن كثيرًا من الرجال لو جمعت أوامره اليومية للأسرة لوجدتَها تصبُّ في هدف النظافة مثلًا: (رتِّبوا، نظِّفوا، امسحوا، اغسلوا...)، وآخر لو راقب أوامره لوجدها تصبُّ في باب ترشيد الاستهلاك: (أغلقوا الأضواء، لا تَرْمُوا الطعام، لا تترك الخبز مكشوفًا، أغلق الحنفية جيدًا...)، وثالث يُوجِّه أسرته إلى إرضاء الناس ونيل إعجابهم: (البسوا جيدًا سيزورنا ناس، أحضري هديةً جيدةً سنذهب لفلانٍ، أَعِدّي طعامًا جيدًا هناك ضيوف). وهكذا تكون الأسرة تخدم أهدافك وحاجاتك، بينما لا تخدم أنت حاجاتهم وأهدافهم، يخدمونك دنيويًّا فقط.

لكنَّ الإسلام يطلب منك حماية أسرتك من النار... وأنْ يكون هذا هدفك لهم: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]. كيف؟ بتوجيه الأسرة للصلاة، وهي ليست فقط الصلوات الخمس. فكما تعلم أنتَ لن تأمر الصغار بالصلاة قبل سبعٍ، فهل ستنساهم سبع سنوات؟ بالطبع لا. فصِلَةُ الروح بالله، وأمرهم بالعلم وذِكْر الله بالحمد والبسملة والصدق والأمانة وتمنِّي الجنة في اليوم الآخر والدعوات الصالحات يأتي قبل الصلاة: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ﴾ [طه: ١٣٢].

حينما كان القرآن ينزل، وتفهم نساء العرب القرآنَ ومواعظه وأفكاره... كانت الصلاة إحدى طرق مراجعة المعلومات والتعلُّم. فلو كنتَ في مصنعٍ له قوانين، وطلبوا منك تسميع القوانين خمس مرات باليوم لتتذكرها؛ ستصبح أمهر الناس في عملك؛ لذلك الصلاة كان الهدف منها تذكيرك بقوانين الله وآياته خمس مرات باليوم.

أما في زماننا؛ كون المرأة غالبًا شاردة الذهن في الصلاة غير فاهمةٍ لِمَا تقرأ؛ لم تَعُدِ الصلاة وحدها كافيةً لزوجتك لتطبيق الأمر بالصلاة. بل قبل الصلاة... عليها فَهْم الدين، وفَهْم القرآن، وفَهْم السُّنَّة، وفَهْم الأخلاق الدينية قبل المجتمعية. أكثر الأُسَر باتت تُركِّز على

حفظ القرآن المحض والصلاة المحضة، ومن تجربتي الشخصية أجلس مع كثيرٍ من الناس، وأسأل عن أساسيات في الدين... لا يعرفون، أو كلمات مشهورة في السور القصيرة... لا يفهمون معناها؛ لذلك في زماننا: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ [طه: ١٣٢]؛ ستكون لها مقدمات كثيرة من العلم... عليك أن تُوجِّه أسرتك نحوها. لا تجعل عامًا يمر على زوجتك دون أن تكون دفعت ثمن دورة تربوية أو أخلاقية أو علمية لها، وكذلك أولادك وجِّههم لأفضل المراكز. اجعل توجُّه الأسرة نحو العلم والمساجد، وليس نحو الجهل والعادات المجتمعية. أخبرهم أن الله يقول: إنَّ أكثر الناس لا يعقلون، وعلى أسرتك أن لا تكون مثلهم، وأنْ تتميَّز وتتعلَّم. طريقة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في توجيه نسائه وأصحابه لله وللعلم قد تفيدك في هذا الموضع، فهو قدوةٌ حسنةٌ لك كرجلٍ ناجحٍ في قيادة مجتمعٍ للعلم بالله.

تختلُّ منظومة الأسرة عندما يتنازل الرجل عن دفَّة السفينة ودوره كمُخطِّط لمصير الأسرة، أو مُوجِّه مُسطِّر لمركب زوجته وأولاده. تصبح الأسرة تتلاطمها الأمواجُ بدون هذا الدور. هل تعتقد أنه كان لدى أسرتك التي تربيت بها أهدافٌ غير إرضاء أهواء الأهل؟ إذن؛ صحِّح خطأ الجيل السابق، وميِّز أسرتك. بإمكانك أثناء التخطيط استشارة تربوي، وكذلك استشر زوجتكَ قد تعلم مناطق ضعف الأولاد ، لماذا؟ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨]. الحال بين المرأة والرجل يشبه حال طبيبٍ جراحٍ ماهرٍ يُركِّز على جزءٍ دقيق صغير بين يديه أشد التركيز، ولكنه يحتاج معه طبيبًا مراقبًا يرى الحالة العامة للمريض: نبض قلبه، ضغطه، الأكسجين لديه. لو ألغينا دور الطبيب المراقب، ووضعناه على الطبيب الجراح، كل عبقريته لن تفيده في القيام بمهمتين كما يجب.

فالمرأة تركز على سلوك أطفالها غاية التركيز لتُعدِّلها، ولكن الصورة العامة لوضع المنزل ومستواه الأخلاقي والروحي والمالي، ومناسبة صفات الأولاد لِمَا يراه الرجل في الخارج لن تلاحظه الزوجة وحدها. الرجل يخرج ويرى المجتمع وما فيه من فسادٍ، يرى كيف يتحدَّث الرجال عن امرأةٍ لا تلبس المناسب، أو عن انتشار المخدرات... يحاول إيصال الصورة

لزوجته؛ ليحافظ على أولاده. المرأة أحيانًا بكلِّ أنانيةٍ تظن أنها تفهم كل شيء فلا تستجيب لمخاوف الرجل الحقيقية وخطته، وتراه مُعقَّدًا ويبالغ ويُضخِّم، ولا يريد أن يعيش كالناس. وهنا الرجل الذي لا يملك الاصطبار إما أنْ يمارس القمع والصراخ، أو ينسحب من مهمته ويترك الطبيب الجراح وحده... لتفشل العملية ونُخرِج أطفالًا يبتلعهم التنمُّر والتحرش والمخدر والاستغلال الجنسي الذي لم تكن المرأة تُعِدُّ له أصلًا، بحكم تركيزها على سلوك الطفل، لا سلوك المجتمع.

لذلك أُذكِّركَ أيها الرجل... لا تتنازل عن مهمتك في توجيه كلِّ الأسرة إلى هدف الصلة بالله... بالعلم والعبادة... وحمايتهم من المجتمع. أنتَ ترى المجتمع، وترى كيف يعامل الناسُ الطفلَ بعد خروجه من المنزل بعيدًا عن والديه. لا تترك بنتك لقرارات الزوجة وحدها... أنت لا تريد لها أن تُستَغل جنسيًّا. ولا تترك الأولاد لخوف الأم التي تخشى عليهم من الجرح الخفيف، بينما يجب أن يكونوا جميعًا أقوياء جسديًّا يتسلقون ويقفزون من مكانٍ عالٍ، ويدافعون عن أنفسهم... فدَرِّبهم لحماية أنفسهم في الخارج. شارِكْ زوجتك وَضعَ القوانين، ولا تَنْسَ مع كل ذلك الاصطبار. فانفجارك الدائم وكثرة غضبك يعني أنك لم تَعُدْ تصلح للتعليم... بات هدفك أن تصرخ فيهم، وأمنيتهم أن تموت، أو يهربوا من المنزل هروبًا حقيقيًّا أو مجازيًّا على شبكات التواصل. أنت ترى في المجتمع حولك الهاربين من المدارس والبيوت، ولا تحتاج أنْ أُخبِرك بسلوك آبائهم في البيوت... خطط لنجاة أسرتك وحمايتها.

﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ صفتان تنطبقان على الرجل الذي لا يُخطِّط لأسرته، ولا توجد له أهداف يقود الأسرة نحوها.

خطِّط ثم وجِّه، ولا تترك سفينتك للأمواج.

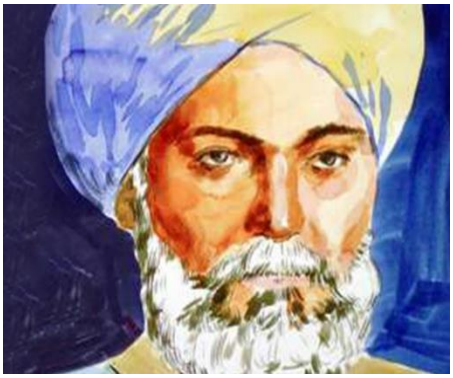

قصة والد الإمام الجويني...

مثالٌ على الوالد الذي يخطط لأسرته:

وذلك أنَّ أباه اكتسب من عمله -وهو النَّسج- مالًا حلالًا خالصًا من الشُّبْهة، فاشترى به جاريةً صالحةً، وأعتقها، وتزوجها، وحرص أن يطعمها الحلال. فلما ولدت له حرص على أن لا يطعمه ما فيه شُبْهة، فمنع الزوجة من أن تسمح لغيرها أن يرضع ابنها، فلم يمازج باطنه إلا الحلال الخالص، فشبَّ عالمًا. يُحكَى أنه تلجلج مرةً في مجلس المناظرة -أي: ثَقُلَ لسانه-، فقيل له: يا إمام، ما هذا الذي لم يُعهَد منكَ؟ فقال: ما أُرَاها إلا آثار بقايا المَصَّة. قيل: وما نبأ هذه المَصَّة؟ قال: إنَّ أمي اشتغلت في طعامٍ تطبخه لأبي، وأنا رضيعٌ، فبكيتُ. وكانت عندنا جاريةٌ مرضعةٌ لجيراننا، فأرضعتني مَصَّةً أو مَصَّتينِ، ودخل والدي، فأنكر ذلك، وقال: هذه الجارية ليست مِلْكنا، وليس لها أنْ تتصرَّف في لبنها، وأصحابها لم يأذنوا في ذلك. فقلبني ومسح بطني لأستفرغ، حتى لم يَدَعْ في باطني شيئًا قَدَرَ عليه إلا أخرجه، وهذه اللَّجْلَجة من بقايا آثار تلك المَصَّة.(١)

كانت خطته: مال حلال + زوجة صالحة = ولد عالم وكان بفضل الله.

ج- الإنفاق... عماد استقرار الأسرة:

دورك الثالث الذي يترتَّب على كونك ذكرًا مسلمًا هو الإنفاق على مملكتك (بيتك). وبما أن عددًا لا بأس به من الشعوب في العالم تكون النفقة عندهم على المرأة كبعض شعوب أفريقيا والهند وبعض مناطق مصر وبعض الدول الأوروبية النفقة بالمناصفة وغيرهم، لكنَّ الله لم يوافق على ذلك، ورأى فيك الشخص المناسب لهذا الدور، وطلب منك أن تكون

(١) «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٥/١٦٨-١٦٩)، وكذلك انظر «وفيات الأعيان».

قوامًا، أي: تقوم بطلبات المرأة وحاجاتها، وتتسلم تلك المهمة. وليس الإنفاق يعني أن تسلم المال ولا تتدخل في توزيعاته، بل من مهمتك أن تقوم بتوزيع المال بحكمةٍ على مصالح الأسرة، وتقسيمه التقسيم العام الأصلح للجميع، مثلًا ٣٠٪ للسكن، ٢٠٪ للمدارس، ٤٠٪ للطعام والشراب، ١٠٪ لالتزامات اجتماعية، ١٠٪ لمصاريف شخصية... وهكذا.

وتنبَّه لضبط أمرين: المناصفة التقريبية بين ما تنفقه على نفسك وعلى زوجتك (تطعمها إذا طعمتَ، تكسوها إذا اكتسيتَ)، فإن لزوجتك حقًّا في النصف من الاحتياجات الأساسية. حاول أن لا تنقص منه لتشعر بالرضا عن نفسك، وأنك لم تظلم. أقول هذا لأن بعض الزوجات لا تعرف حدَّها، وتُشعِر الرجل بالتقصير الدائم، ولا تميز بين الحق والإحسان، ما زاد بعد المناصفة التقريبية إحسانٌ منك. وأنصحك... كثير من الزوجات تشعر أن زوجها بخيل مع كونه أنفق كل ماله لمنافع الأسرة، وحين أسألها: «ألم يدفع الإيجار والفواتير والمدارس؟» تقول: «كل أحدٍ يفعل هذا! أنا أريد مصروفًا... منذ أشهر لم أَلْمَس المال». ولكي أُسهِّل عليك فهم ما تشعر به المرأة، تخيَّل أن مديرك بالعمل لم يُسلِّمك المال بيدك... وذهب معك ودفع فواتيرك وإيجارك وطعامك... وفعل هذا كل شهرٍ، ستشعر أنك غير مرتاح؛ لذلك من مصلحة الجميع أن يكون هناك قسم صغير تُحدِّده أنت خاصٌّ بالمرأة بين الحين والآخر، وللمرأة دور تجاه أموالك... سنتحدث عنه في وقته.

الإنفاق مهمتك، لماذا؟ هل هذا ظلم لك؟ لا أنكر أن بعض المجتمعات قوانينها تظلمك وتكلفك بما فوق طاقتك. لدينا حفلات الزواج مكلفة مقارنةً بالعالم، بينما في أمريكا يهرب الرجال من الزواج بسبب ما يُلزِم القضاء به الرجل لو حصل الطلاق الذي يحصل كثيرًا؛ كون المرأة تعلم أنها ستأخذ الكثير من المال بسببه... نحن إذا أردنا السير على شرع الله فقد كرَّر القرآن مرارًا لك على أنه لن يكلفك فوق طاقتك: ﴿**لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا**﴾ [الطلاق: ٧]؛ لذلك مهم جدًّا أن تكون واضحًا مع زوجتك، ولا يدفعك خوفك من هروبها أن تبالغ في شرح إمكانياتك.

نعود للسؤال: لماذا عليك الإنفاق؟ كونك أولًا أقوى بدنيًّا، ثم إن عقلك مؤهل للتعامل مع الحسابات الرياضية وللإبداع، وبإمكانك الابتكار والاختراع والمتاجرة والمخاطرة والانتظام أكثر من المرأة، فأنتَ الشخص المناسب لمهمة التجارة والصناعة اللذان هما السبب الرئيس لجلب المال. كما أن الإنفاق يجعل مملكتك مستقرةً، أطفالك في أمان، فأنت تعبتَ في اختيار أمٍّ آمنةٍ لأطفالك. وهذه الأم لكي تظل حولهم أكثر الوقت وتقوم بمهماتها تجاه أطفالك... عليها أن لا تحتاج لشيءٍ، وأنت تحسن الإنفاق ومُهَيَّأٌ له نفسيًّا بشكل أكبر من المرأة، ويشعرك الإنفاق بالرضا. لو سلَّمنا الإنفاق للمرأة فعشقها للتباهي والتميُّز على النساء قد يجعلها لا تفكر في غير نفسها، وقد تنفق كل المال على فساتينها دون مبالاةٍ بفاتورةٍ أو أولادٍ. وإن كانت امرأة تعاني من شعورها بعدم الاستحقاق؛ ستنفق كل المال على أولادها، وتنسى نفسها؛ مما يجعلها في صورةٍ رثَّةٍ، وتتحول لشخصية حاسدة كئيبة؛ لذلك قوامتك تُحقِّق التوازن المالي، وتعطي كل ذي حق حقه... ستُحضِر للجميع ما يحتاجونه.

قال الشاعر مادحًا قوامته على زوجته:

تَعاهَدُتها بالخيرِ حبًّا وعِفَّةً فَلَا نالَها غَبنٌ ولا قُدَّ ثوبُها

أي: أنه كان يتفقَّد احتياجاتها، فلم تشعر يومًا أنها مظلومة، ولم يتمزق ثوبها بحياته... حقٌّ له أن يفخر برجولته.

أول صور الإنفاق على الأنثى تتمثَّل في المهر الذي هو علامة على أنك أصبحتَ مؤهلًا للحصول على أنثى، وقادر على تأمين احتياجاتها... المهر يشابه تقريبًا العش الذي يُقدِّمه الطائر لأنثاه. ولكنَّ كثيرًا من الأزواج لا يحترم ما منحه للمرأة ويأخذه بعد الزواج بإكراه الزوجة، مع أن الله منع... ومع كون ذلك الذي دفعه هو الذي يُفرِّق بين الزواج والاغتصاب، فلا تكن مثل أولئك الأزواج، حتى لو لم يبقَ في الدنيا مالٌ سوى مهر زوجتك... لا ترجع لتأخذه، لن يصبح فرق بينك وبين الذي اغتصب امرأةً، ولم يثبت لله دوره كرجل مسؤول. واعذرني لكن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ شبَّه الذي يعود ليأخذ ما وهبه بتشبيهٍ لا يليق بالكريم، فلا تجعل ذلك التشبيه ينطبق عليك.

حسنًا، لو شعرتَ بأنكَ أخطأتَ في اختيارك وتنفق بدون طائلٍ، زوجتك لا تسير على مُخَطَّطك، ولا تتعلم من أخطائها، ولا تقوم بدورها، وكرهت الزوجة، واكتشفتَ أنها لا تصلح كما كنتَ تعتقد، أو شعرتَ أن زوجتك لا تحبك مهما فعلتَ، والعيش معها بات صعبًا، فالإسلام لا يجعل عقد الزوجية كعقود النصارى ميثاقًا أبديًّا لا يمكن فكُّه، بل الزواج شراكةٌ لنَيْل منافع متبادلة للأسرة وَفقَ الدين. وحين يصبح الزواج ضارًّا لك ولسلوكك... مليئًا بالمشاجرات والمشاحنات التي لم يَعُدْ لها حلٌّ... مع كونك أحضرت حَكَمًا ووَعَظتَ وعلَّمتَ... فالحل الصحيح أن تُودِّع الأنثى بالطلاق، وتقدم لها أيضًا هدية وداع... متاعًا ماليًّا تستطيع تأمين نفسها به لمدةٍ، حتى تتمكَّن من البحث عن مُعِيلٍ آخر. الرجولة كرمٌ لم يسمح الله لكَ أن تكون بخيلًا، حتى وأنت تُطلِّق، ستُودِّع الزوجة بالمتعة، ثم تنفق على أطفالك فقط؛ لأنكَ رجلٌ لا يخذل أطفاله الذين لا ذَنبَ لهم.

كثيرٌ من الرجال حين يكرهون زوجاتهم يعاقبونهم بالبخل عليهنَّ وبالمنِّ والأذى. **لماذا؟** ويكتب الله اسمك في الظالمين **لأجل ماذا؟** ؛ كن رجلًا كما أراد الله. تذكَّر أنت مؤهل لأنْ تنفق على أسرتك، والعطاء المادي يُشعِرك بأنكَ عبدٌ صالحٌ تطيع الله، وأنَّ الله سيكافئك ويعلم قَدْر ما تفعل. واعلم أنَّ الزوجة لجهلها أحيانًا قد لا تشكر لك فضلكَ... ولكِنْ لك ربٌّ سيُوفِّيك أجرك عظيمًا... حتى اللقمة وشربة الماء لن ينساها لك... فلا تتبع نفقتك بالمنِّ والأذى إنْ لم تَلقَ شكرًا من زوجتك.

د- صناعة الحَسَب لأطفالك... بناء المكانة الاجتماعية للأسرة:

الدور الرابع المهم لك كرجلٍ هو صناعة المكانة الاجتماعية لأسرتك. سأوضح الأمر أكثر، قبل الزواج لا بد أن الحصول على أنثى كان أمرًا مهمًّا لك جدًّا... بأهمية الطعام والشراب والنوم، وكنتَ مستعدًّا لفعل أي شيء لأجل نيل المرأة، إنها شيء مثير جدًّا، فطرتك تقودك نحوه بقوةٍ. في القديم؛ عندما كانت المرأة تُخطَب من والدها، ولا يمكن لك الوصول إليها بسهولةٍ دون المرور بحاجز أرحامها، فلن يتمكَّن الرجل من الحصول على الأنثى إنْ لم يكن يعجب أباها أو وليها. كان هذا يجبر ويضطر الذَّكَر الخاطب على الاجتهاد محاولةً منه أن يكتسب صفات اجتماعية مقبولة، مثلًا: كان يجتهد في الفروسية والنبل واكتساب السمعة الحسنة والعلم والسيادة والمال. أما لمَّا خَسرتِ المرأةُ ذلك الحاجز، وبات الوصول إليها سهلًا، تدنَّت اجتهادات الرجل على نفسه، وأصبح يعلم أن بعض الكلمات الجميلة المصطنعة كفيلةٌ بأنْ تجعل المرأة توافق على منحه نفسها وقبوله زوجًا، فمعايير المرأة عاطفية، وتقديم العواطف الكاذبة سهلٌ، أسهل بكثيرٍ من تقديم سيرة مُشرِّفة لوالدها وعمل جيد وسجل حافل بالإنجازات.

تخيَّل أنه بدل التدرُّب على الفروسية وجمع المال؛ بات عليك التدرُّب على الجلوس على ركبة وتقديم خاتم ... وستجد المرأة لا تصدق نفسها فرحًا ، يا للسخافة . حتى الأطفال على المسرح يتقنون هذه الحركة، ولو ذهبتَ لوالدها وفعلتها أمامه لصرخ فيك: قُمْ واسترجل! مَن أبوك؟ ماذا درستَ؟ أين تعمل؟ في أي مسجدٍ تصلي؟

إذن؛ تدنَّى تطوير الرجال لأنفسهم لأنَّ أهم وأثمن ما كانوا يريدون الحصول عليه -ولو كلفهم كل شيء- أتاهم سهلًا ببعض الكلمات والحركات وقرض بنكي ووعود مفبركة.

حسنًا، **هل فات الأوان؟** لا. حتى لو استطعتَ الوصول للأنثى بسهولةٍ، وحرمك ذلك من التعب لتكوين مكانتك الاجتماعية قبل الزواج، فكوِّنْها الآنَ لأجل أطفالك، ولا تُضيِّع عمرك في مكانٍ وضيعٍ وسمعةٍ سيئةٍ، حاول إكمال دراستك والاجتهاد في عملك والإحسان لجيرانك والصلاة بمسجد حيِّك. قدِّم لِمَن يعلِّمُ أطفالك هدايا بين الحين والحين، وكذلك

لِمَن يوصلُهم في الحافلة. حاول المساعدة في حل المشكلات المجتمعية حول منزلك: فقر، يُتْم، مرض، عجز، كبار السن. سَاهِمْ بتقديم الإحسان للمحيط حولك، باختصارٍ؛ احمِ منطقتك لأجل أسرتك كما تفعل الأسود. هذا سيجعل المجتمع حولك يساعدك في حماية أطفالك إكرامًا لك. فلو رأت المعلمة طفلًا يتنمر على ابنك... ستتذكر هديتك وتدافع عنه. ولو رأى السائق الأطفال يزعجون ابنتك... سيُجلِسها في مكان آمن ليحميها لأجلك. شخص يستهدف أطفال الحي ليؤذيهم قمت وسددت فاتورته عنه... سيترك ابنك إكرامًا لك ، كما تبتعد الوحوش عن صغار الأسد إكرامًا له. وإياكَ أن تظن أن المكانة الاجتماعية تُنال بأنْ تعمل عدة وظائف معًا لجني المال، بينما لا ترى جيرانك ولا أولادك أصلًا.

أنت تحمي منطقتك، ولا تحمي متوسط دَخْلك وأرصدتك... لم يكن الفخر الحقيقي أرصدة، بل إحسانًا يجعل الناس تُكرِم أطفالك لأجلك.

تذكَّر ذلك جيدًا... وأرجوك تذكَّر أن تلك مهمتك... لا تفرض على زوجتك أنْ تُضيِّع عمرها لتساعدك في مهمتك تلك؛ لتجبرها على الذهاب لكل الزيارات المجتمعية بكثرةٍ، بل وإقامة ولائم متكررة أسبوعية على حساب انشغال الأم عن وظيفتها... للانشغال بالناس. لا تَدَع وظائفك تشغل الأم عن وظائفها. اجعل الولائم في المنزل قليلة نسبيًّا متباعدة، وزياراتك للناس قصيرة الوقت عملًا بالسُّنَّة. لمَّا كبرت رأيت أكثر أقاربي متباغضين متقاطعين، إلا نحن علاقتنا جيدة بالجميع، والسبب الذي اكتشفته بعد ذلك أن زيارات والدي دائمًا كانت قصيرة... لم تجعل للمشاحنات أي مجال، لم نعرف عيوب أقاربنا ولم يعرفوا عيوبنا، نزورهم كل شهر مرتين تقريبًا... ولكن نصف ساعة... ربع ساعة... ساعة، لا يمكن أن يكون الوقت أكثر بدون سبب ؛ لذلك أوصيك أن لا تضيع عمرك بين المجتمع، فالهدف الأسرة قبل المجتمع. وأيضًا لا تضيع حق المجتمع... كُنْ وَسَطًا، أَحْسِنْ وارْحَلْ، وانشغل بإعداد جواب مُشرِّف يجيب به أطفالك كلما سألهم أحد: مَن أبوكم؟... فيقولون: فلان... فيقولون: ياه هنيئًا لك، أبوك كان وكان...

لقد أكرم اللهُ أولادَ عبدٍ صالحٍ... وحفظ رزقهم بعد موته .. قال الله عن والدهم: ﴿وَأَمَّا

﴿ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢].

أنا جرَّبت شعور أن يمدح الكل الوالد -رحمه الله-، وأتمنى لكل طفل في الدنيا أن يحظى بذلك الشعور... هذا دورك الآن... أن تسعى لينالَه أطفالك.

سيأتي يوم يُسأل أبناؤك فيه: (مَن والدكم؟)... جهِّز لأبنائك مكانةً اجتماعيةً تجعلهم يفخرون بك... لم يكن الفخر يومًا أرصدة... بل إحسانًا يجعل المجتمع يحب أطفالك لأجلك.

هـ- دعم المرأة لتستطيع القيام بمهماتها ودعم أولادك... التكافل والتقدير:

أدوارك السابقة مهمة ومُشرِّفة وليست سهلة، فهي ميزان الرجل المتحمِّل للمسؤولية. وسنتحدث للمرأة: كيف تدعمك وتُقدِّر ما تفعله؛ ليمكنك الاستمرار في تلك المهمات الكبيرة التي لها ثواب عظيم من الله، وسيحاول الشيطان إضعافك وتنفيرك عن مهماتك، كما كنت تنفر من الدراسة حين كنتَ في أَمَسِّ الحاجة للمذاكرة... لذلك خلق الله المرأة لتدعمك، ولكن عليك أيضًا أن تدعم الزوجة لتؤدي مهماتها العصيبة هي الأخرى.

يرتكب بعض الرجال الذين لا يجدون تقدير زوجاتهم لمهماتهم... أخطاء فادحة؛ حيث يبدؤون بتحطيم المرأة، والتضييق عليها، وحرمانها من كلِّ ما يُسعِدها وتحبه بدون أسباب: أهلها، صديقاتها، نُزْهتها المباحة، هاتفها، مسجدها، كُتُبها. مع أنَّ الله نهى عن ذلك: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ [الطلاق: ٦]. بذلك تنشغل المرأة عن مهماتها، وتصبح كئيبةً غاضبةً، لا تفكر بأولادها أصلًا، بل بالممنوع عنها. أو يقوم بعض الرجال بالتوقُّف عن محاولة كسب قلب الزوجة، ولو طلبت منه كلمة جميلة استخفَّ بها؛ لأنه يراها لا تستحق شيئا مع كون الكلمة لن تأخذ ثانيتين في حساب الزمن، لكن حرمانها سيشغل عقلها عن أطفالك أيامًا، وسيشغل لسانها بالثرثرة عن فعلتك للآخرين لتجد داعمًا من الخارج؛ لذلك عليك أن تنتبه أنك ستحتاج لدعم المرأة حتى ولو لم تَعُدْ تشعر بأهمية ذلك... لأجلك ولأجل أبنائك، ولأجل أن لا تدخل في دَرْك الشقاء... فتنتقل زوجتك من الحزن إلى الغضب إلى الكره إلى البحث عن غيرك أو حتى الاستغناء عنك... ومع أن المرأة تنكسر بدون الرجل، لكنها تُفضِّل الكسر مع البُعْد على الكسر وهي بجانبك؛ لذلك سيسهل عليها ترك كل شيء إنْ طالت وحدتها وجرحها. والمال الذي دفعتَه لها لتثبت أنك رجل يستحقها سترده لك وترحل، هذا إنْ كانت صالحة مؤمنة تخاف أن تظلمك وتسيء أخلاقها معك. وإن لم تكن مؤمنة حقيقية تخاف يوم الحساب ستعيش الجحيم معها وهي

تنتقم منك وتزرع في أولادك الكراهية وتضيع كل حقوقك.

أيها الأب، أنت تعرف بذكائك الفطري كيفية كسب قلوب أفراد أسرتك ليكونوا حلفاء لك، فأنت ترى الملوك في الأرض في كل العالم لا تتشابه سياساتهم مع شعوبهم، وبإمكانك معرفة أي ملك يحبه شعبه فعلًا، وأي منهم غير محبوب وشعبه لا يحالفه ويتمنى هلاكه، ويعرف أنه يكذب عليهم. اختر سياسةً جيدةً تجعل منك ملكًا يتبع سياسات تكسب بها القلوب، أنت تُحسِن هذا حين تضعه في أولوياتك وأهدافك. وعمومًا، كلما نسيتَ كيف تدعم زوجتك تذكر الأشياء الجيدة التي كنت تفعلها في الخطوبة، وأسعدت زوجتك، وكرِّرها فقط، فقد كنتَ تفعل ذلك فطريًّا... فحين تنسى عُدْ لفطرتك. المرأةُ بحاجةٍ لك... صدِّقني لن تصمد نفسيتها، ولن تكون أُمًّا سعيدةً بدون دعمك مهما مثَّلت الاستغناء، كن سندًا لها بكلماتك.

وسأعطيك خطة جيدة ، كلما ذهبت لتعبئ سيارتك بالبترول أو هاتفك بالرصيد ، ابعث لزوجتك دعاء طيبا فهي لا تختلف عن السيارة والهاتف وتلك الكلمة هي طريقة إعادة شحنها.

لقد ملأ الرجال عالم المرأة بالسعادة، فكل ما حولك من بيوت وجدران ونوافذ وغسالات وهواتف ومُكيِّفات وسيارات ومصاعد وأفران وثلاجات وكهرباء وأضواء وأثاث هي اختراعات الرجال... وأنت منهم ومثلهم... لن تعجز أن تجد طريقةً لتسعد زوجتك.

والآن أيها الأب، لا حرم الله أسرتك منك... اعمل جولةً قصيرةً في جوجل بعنوان (أهمية وجود الآباء في حياة الأبناء)، أو (أهمية دور الأب)... وشاهِدْ أو اقرأ عشر مواد على الأقل حول دورك وأهميتك... وفي مقدمة ذلك كلام المحامية (مارلين يورك) محامية قضايا الرجال. ثم بعد ذلك تابع القسم التالي.

اللَّهُمَّ... احفظ الرجال الصالحين كما حفظوا أُسَرهم. مَن يوفيكم حقكم؟ جزاكم الله عن أُسَركم خيرًا.

تأمُّلات في أدوار الرجل... تقييم ومراجعة:

اسأل نفسك الأسئلة التالية:

هل أنت راضٍ عن هذه الأدوار؟

هل تشعر أنَّ أيَّ واحدٍ فيها يُعَدُّ ظُلْمًا لك؟

هل هناك أي دور منها يمكن التنازل عنه وهو ليس بهذه الأهمية للمجتمع والأطفال؟

هل أنت مستعدٌّ لتحمُّل أدوارك على أكمل وجهٍ؟

هل تستطيع توضيح أهمية أدوارك لأطفالك الذكور... لتجعلهم رجالًا حقيقيين مثلك؟

هل تشعر أن هذه الأدوار تكفي للأسرة؛ بحيث لو فعلتها كلها ولم تفعل المرأة أيَّ دورٍ للأسرة... ستكون الأسرة كاملة، ولا أهمية لوجود أنثى بها؟

بالطبع لا، فللمرأة مهمات وأدوار أنت لست مسؤولا عنها، وبعض الرجال لا يُقدِّرون أدوار المرأة... خصوصًا إنْ كانت أمهاتهم لم يَقُمْنَ بأدوارهنَّ... وكانت متفرغةً للمشاكل والغيبة والنميمة، يجدونها أقل من أن يتشرَّف أحدٌ بالقيام بدورها. وهذا ما حاول القرآنُ محوَه من عقول الرجال... لأن الأنثى ليست مجرد عالةً على الرجل في الأسرة... بل لها وظائف مهمة منفصلة تمامًا عن الرجل، ولا يستطيع الرجل فعلها بنفس مقدرة الزوجة.

فلا تسمح لأدوارك المحورية والمهمة أنْ تُنْسِيك تقدير الأدوار الأخرى لشريكتك في البيت، ولا تحاول وضع أدوار مِن عقلك للزوجة تشغلها بها عن مهماتها، مثل: أن تجعل مهمتها متعلقة بأهلك وخدمتهم، أو الزيارات المجتمعية والولائم، أو مساعدتك المالية، أو الانشغال طوال الوقت بتلميع المنزل. كذلك سنطلب من الزوجة عدم إشغالك عن أدوارك بأدوارٍ أخرى كأنْ تصبح حلَّالًا لمشاكلها، كائدًا للاتي تغار منهنَّ، حاضنًا لأطفالها الذين لم يبلغوا السعي؛ لأنكما هكذا ستكونانِ لَبِنَةً في سور الكراهية طويل الأمد بين الرجل والأنثى. وهذه الكراهية لا يكون مصدرها إلا الجهل بأدوارك وأدوار الآخرين... وأنت الآن تتعلم ولم تَعُدْ جاهلًا.

لذلك نتوقَّع أن ترتقي من الكراهية للمودة والرحمة التي تنشأ في بيوت أصحابها... عرفوا ما لهم وما عليهم؛ بفضل ما تعلَّموه من الدين. وكما قيل: (لا يرتاح الإنسان، ولا يرتاح الناس من شرِّه؛ إلا إذا عرف ما له وما عليه، والتزم به).

اكتب ملاحظتك:

.....

.....

.....

٦. دور الأنثى في الأسرة

أ- الاختيار أساس الشراكة السعيدة:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الثَّيِّبُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا، وَالْبِكْرُ تُسْتَأْمَرُ، وَإِذْنُهَا سُكُوتُهَا**»(١). إنَّ لدور الرجل في الاختيار أهميةً لا تقل عن أهمية دور المرأة فيه، إلا أن كثيرًا من النساء، للأسف، لا يُفكِّرنَ بجديةٍ في رغباتهنَّ ومتطلباتهنَّ الخاصة، ولا يُبدينها لأهلهنَّ. غالبًا ما تبحث المرأة عن علاقةٍ تعتمد على مشاعر الحب السهلة والنظرات المتبادلة، وتَقبَل بالزواج بناءً على ذلك؛ مما يؤدي إلى خسارةٍ كبيرةٍ؛ لأنها تحرم الرجل من متعة السعي والبحث. فالذي يُنال بسهولةٍ لا يحمل متعةً، كما أن الذي يُنال بعد مشقةٍ شديدة قد تُفْقَد لذتُه أيضًا... لذلك، فإن خطة الإسلام للمرأة حكيمة: يَنصَح الإسلام بتشديد الشروط الأخلاقية، وتخفيف الشروط المالية... إنَّ احتياجك إلى الحب كبير، لكن لا يجب أن يجعلك هذا الاحتياج تنسين الحاجة التي سيواجهها أطفالك في المستقبل... إلى والدٍ قادرٍ على الاستمرار في مهماته، وتطوير نفسه، والبذل من أجل تأسيس أسرة سليمة... والحفاظ عليها.

هل تعتقدين أن الوصول إلى النساء الأُخْريات (المحرمات) في مجتمعاتنا صعب إلى درجةٍ تضمن لك أنَّ مَن اختار الحرام بسهولةٍ منذ البداية سيكون مُؤهَّلًا لأنْ لا يستمر على هذا المنوال حتى الموت... حتى لو أصبح زوجك؟ إنَّ **الرجل الذي يُقدّر قيمة الأسرة** ويفكر فيها وفي أطفاله، هو الذي **يُقدّر قيمة المرأة** ويبذل جهدًا أكبر من مجرد النظرات والكلمات والهمسات لإثبات أنه رجل صالح وجيد.

إذا كنتِ ترغبين في رجلٍ يُمكن أن يكون أبًا صالحًا، وكان هو أيضًا يبحث عن أنثى

---

(١) رواه مسلم.

صالحة، فكلاكما مؤهل لتكوين أسرة متميزة. فلا تُسقِطي دورك في الاختيار وتستبدلينه بدور الانتظار السلبي... لا تنتظري مَن يختارك ويخطفك على حصانٍ، بل ضعي معايير واضحة لِمَا تريدينه في الرجل... وأَعْلِمي ولي أمركِ بها مباشرةً... أو من خلال والدتك. مثلًا: أريده متعلمًا، ملتزمًا بالصلاة، حافظًا لعدد من أجزاء القرآن، غير مدخن؛ أو أريد رجلًا يعمل معلمًا ويَحظَى بحب طلابه، ومخلصًا في عمله؛ أو أريد رجلًا بارًّا بوالدته ومُحسِنًا إليها، وهكذا. وبذلك، سينتشر هذا الطلب بين الناس، وستجدين أكثر الأشخاص توافُقًا مع تطلعاتك، بدلًا من أن تجدي نفسك تواجهين خيارات سيئة كثيرة.

ماذا لو كنتِ في أسرةٍ لا تُولِي اهتمامًا لرغباتكِ، وتُزَوّجتِ قريبًا رُغمًا عنك؟ هذا يعتبر عودة إلى الجاهلية الأولى، ويُشعرك بضرورة انتشار الإسلام مجددًا، ذلك الإسلام الذي أمر بأن تَستأذني وتُستأذني وتستمري في موافقتك. وإنْ كانت الجاهلية قد عشَّشت في أسرة والديك، فلا بأس، فهذا أمر مؤقت. فأنتِ الآن ستُؤسِّسين أسرة جديدة، وعليك أن تُربّي أطفالك فيها على احترام رأي المرأة في الزواج كما أمر الإسلام، ولا تيأسي. فغالبًا ما تنجح الأسرة الجديدة في تغيير جهل الآباء، وإعادة نشر تعاليم الإسلام داخلها. وهذا هو أحد أسباب أننا ننجب نسلًا جديدًا لا يعلمون شيئًا، لنعلمهم الصواب الذي جاء به الإسلام، وننقذهم من الجاهلية الأولى التي كانت عشعشت في أجدادهم وآبائهم. فكثيرٌ من الصحابة كان آباؤهم ماتوا على الجاهلية، بينما أصبح أبناؤهم منارات علم وخُلُق. إذن، إنْ لم تختاري زوجك كما أراد الإسلام، فاختاري أن تكوني المربية لأطفالك على ما أراده الإسلام.

لا تُقدِّر الأسر التي عشَّشت فيها الجاهلية أن من أدوار الأنثى الاختيار، فيزوجونها بالإجبار، أو يأمرونها فقط بالانتظار إلى أن (يمر القطار).

ب- الإنفاق العاطفي... غذاء الروح وسر السعادة الزوجية:

لا يمكن أن تدخلي متجرًا، وتُعطي البائع المال، فيقول لكِ: «ليس لك شيء»، ويمنعك من لَمْس سِلعه، ويأخذ مالك دون مقابل. بلا شكٍّ، ستتشاجرين معه ولن تعودي إليه.

كثيرٌ من الزوجات يَعْتقِدْنَ أن إنفاق الرجل عليهنَّ هو واجب عليه بلا مقابل ، حتى ولو لم يُرِدْ ذلك، مجرد كونهنَّ زوجاته. لكنَّ الحقيقة هي أن هذا الإنفاق المادي يأتي في مقابل عواطفك، وكلماتك، وأنوثتك. إلى أي درجةٍ تصل بك أفكارك إلى تصديق أن بإمكاننا أن نأخذ الجنة هكذا... بينما نأخذ ولا نعطي؟! ينفق علينا بدون واجبات ؟!!

يجب أن تنفقي عاطفيا ، حسنًا، ماذا لو قررت الزوجة الصمت، والتوقُّف عن الإنفاق العاطفي؟ تظلينَ صامتةً، لا تكلمينه لا بالخير، ولا حتى بالشر. قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**لا يَنْظُرُ اللهُ إلى امرأةٍ لا تَشْكُرُ لزوجها، وهِيَ لا تَسْتَغْنِي عنهُ**». أعوذ بالله من أن نسقط من عين الله، فهو لن يبالي بنا، ولن ينظر إلى تمثيلنا أننا مظلومات بسبب ترك الشكر... لا مكان لنا، ولا قيمة حتى على الأرض بدون لسانٍ ودود.

إذن، ماذا لو قررتِ المرأة أن تتحدَّث بالشر، وتفعل كما فعل البائع ينكر الجميل ويأخذ المال ويسبك ؟ قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ مِنْكُنَّ مَنْ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ**» وجمع بين أصابعه، «**وَمَنْكُنَّ حَطَبُ جَهَنَّمَ**» وفرَّق بين أصابعه. فقالت المَارِدَةُ -أَوِ المُرَادِيَّةُ-: ولِمَ ذاك يا رسول الله؟ قال: «**تَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَتُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتُسَوِّفْنَ الْخَيْرَ**».

وفي حديثٍ آخر: «**إِيَّاكُنَّ وَكُفْرَ الْمُنْعِمِينَ**». فقيل: يا رسول الله، وما كُفْرُ الْمُنْعِمِينَ؟ قال: «**لعلَّ إحداكنَّ أن تطولَ أَيْمَتُها بين أَبَوَيْها، وتَعْنُسَ، فَيَرْزُقها الله -عز وجل- زوجًا، وَيَرْزُقها منه مالًا وولدًا، فتَغْضَبُ الْغَضْبَةَ، فتقول: ما رأيتُ منه يومًا خيرًا قطُّ**».

سأضع لكِ حسابًا بسيطًا يعينك في أداء دورك : ماذا لو كان مقابل كل دينار يُنفَق عليكِ، وليس متبوعًا بالمنِّ والإساءة، مطلوبًا منكِ كلمة جميلة في مقابلها؟ فلنفترض أن الرجل ينفق ٢٠٠ دينار على البيت شهريًّا، فعليه أن يسمع (٢٠٠) كلمة جميلة في الشهر، تتراوح بين (شكرًا)، و(تسلم يدك)، و(ما يحرمني ربي منك)، و(الله يُعوّض عليك)، و(ربي يبارك رزقك)... أكملي التخيُّل، وتخيَّلي وضع المنزل مع هذا المقابل. ماذا لو كان الإنفاق آلافًا، بين إيجار وفواتير وأدوات... هل أصبح من الصعب عليكِ رد الجميل؟!

ولهذا، تفهمين الآن تركيز الإسلام على تذكيركِ بحق الزوج، لأن لديكِ مخزونًا عاطفيًّا

كبيرًا. وإذا لم تُدركي أنه أَوْلَى مَن يُصرَف له عواطفكِ وسمعك تنادين الكل أولادك وأهلك بأجمل الكلمات وتهملينه ، سيكون شعوره كشعورك لو أنفق ماله على الآخرين أكثر منكِ وحَرَمَكِ، وأنت أَولَى بهذا، لذلك أوصاكِ به الإسلام. هو أَولَى الناس بكلماتك الجميلة وعواطفكِ. تتكلمين بلطفٍ مع أهلكِ وصديقاتكِ وأخواتكِ وإخوانكِ، وتنسينه! راجعي محادثاتكِ فقط خلال الشهر الماضي مع زوجكِ وصديقاتكِ. عُدِّي وسَجِّلي على الورق كم كلمة (حبيبي)، و(حياتي)، و(عسل) قِيلَت للخارج، وكم واحدةً قِيلَت للزوج؟ إنْ غلبت كفة الزوج بمقدار ثلاثة أرباع مقابل ربع، فالحمد لله. إياكِ أن يكون العكس، ويكون النقصان في حقِّه.

هذا عن النقصان... فكيف بلسانٍ فاسدٍ لا يعرف التحدُّث بالخير؟ عندها، لا أبشركِ بخير أبدًا. قال رجل: يا رسول الله، إن فلانة... ذكر من كثرة صلاتها وصيامها... غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها. قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**هي في النار**». قال: يا رسول الله، فإن فلانةً... ذكر من قلة صيامها وصلاتها، وأنها تتصدَّق بالأَثْوار من الأَقِطِ، ولا تؤذي بلسانها جيرانها. قال: «**هي في الجنة**».

تقولين: (لا أعرف كيف أتحدث)... لذلك قلنا للرجل أنْ يُوجِّهكِ للعلم، وأخذ الدورات، فستتعلمين من هنا وهناك، بدلًا من إبقاء العقل فارغًا من الخير... مليئًا بوساوس الشيطان. ومع هذا، لو لم يعلمكِ الرجل... افعلي أيَّ شيء لتتعلمي.

حسنًا، ماذا لو كان الرجل يُتْبِع نفقته بالمنِّ والإساءة؟ فيسبُّ ويضرب ويُعيِّر، بدلًا من أن يكون رجلًا ويعلم ويُغيِّر؟ بعضهم، أعوذ بالله، يُعيِّر زوجته بيُتْمِها، وبعضهم يُعيِّر زوجته بغبائها... واحد من هؤلاء الرجال ابتُلِيَ بولدين معهم تخلُّف عقلي، لكثرة سخريته من عقل زوجته. فلا أنكر أن بعض الأزواج مؤذٍ فعلًا... ونحن في هذه الدورة نطلب منه أن يرحم نفسه؛ لأنه لن ينال دنيا ولا آخرة بهذه الطريقة. (ولا تُقبِّح) هذه إحدى حقوق الزوجة، ليس المال فقط. حقُّها السكوت عن الكلام القبيح واجبٌ. عندها، يصعب على الإنسان قول الكلمة الطيبة، وقد أبطل الرجل بيده إحسانه بإساءته. ومع هذا، أقول لكِ: جرِّبي الحديث

الليِّن لفترةٍ جيدةٍ، لعله يتذكر أو يخشى. فإنْ لم ينجح الحال، وبقيت الكراهية والكِبْر منه، ستحتاجين وقتها إلى حكام من خارج الأسرة، فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ [النساء: ١٢٨].

فإحضار مستشار أُسَري للإصلاح واجبٌ مجتمعيٌّ للجميع، تسعى إليه الزوجة، وأسرة الرجل، وأسرة المرأة. الله يطلب أن تحضر تلك الأنفس الشحيحة، وتُحاسَب، وتُوضَع لها الحدود، لا أن يُسكَت عنها لتمشية الحال. متى ما سكنت الكراهية في أي أسرة، علينا الإصلاح، حتى يذهب نشوز الرجل، ويؤدي حق المرأة في عدم التقبيح، ويذهب نشوز المرأة، وتؤدي حقَّه من الشكر.

حسنًا، نعود للإنفاق العاطفي، ركِّزي عليه أكثر من تركيزكِ على (غسلت... وطبخت... وكويت... ولمَّعت). ركِّزي على كل صور الإنفاق العاطفي، فلغات الحبِّ متنوعة. فالقُبْلة على الرأس إنفاق عاطفي، والابتسامة إنفاق عاطفي، والتفاعُل معه بليلةٍ جميلةٍ إنفاق عاطفي. لا تكوني من المطفِّفين، تطالبين الرجل بكل شيء... وأنتِ لا تعطين ما عليكِ. كما قلتُ لكِ: حاولي أن يكون هناك تكافؤ ما استطعتِ، وغالبًا لن تستطيعي شكر رجلٍ أدَّى كل ما عليه من أدوارٍ، واحتسبوها... وأحسنوا... أولئك لا يكافئهم إلا الله.

يتناسى الرجل -لا إراديًّا- أكثر عيوب الزوجة، إنْ صلح لسانها وكانت ذكية عاطفيًّا... لا يعود يبالي بوزنها، ولا يفتعل مشاكل على نظافة بيتها، ولا يصرخ في أطفالها، ولا يغار من الذين يراها تهتم بهم من أهلها. والتي تفعل كل شيء غير العاطفة ، تخدمه وأهله وجيرانه، وقد تكون جاهلةً فتطيعه في معصية الله لنيل رضاه، ثم لا يرضى لأن الله فطره على حب التودد ولن يغير فطرته .

آخر ما أقول لكِ: الممثِّلات في المسلسلات يَحفظْنَ نصًّا طويلًا عاطفيًّا، ويمُثِّلنَ مشاهد ساخنة بإتقانٍ؛ لأجل المال والشهرة. هنَّ لَسْنَ أفضل منكِ، وجنة عرضها السماوات والأرض ليست أقل قيمةً من الألوف التي تجنيها الممثلة. كلما رأيتِ الممثلة في الحرام تفعل أكثر منكِ

لأجل الدنيا، قُولِي لنفسكِ: (أيُعْقَل أن يكون أهل الحرام أكثر إتقانًا للحبِّ الكاذب، من زوجةٍ تفتخر أنها هي الحلال المحب الصادق؟!)... اغضبي من نفسكِ إن تباردت، وقولي لها كما قال أبو بكر لعمر: «أَجَبارٌ في الجاهلية، خوَّار في الإسلام يا عمر؟!»... (أسَاخِنَة رومانسية في الحرام، باردة جامدة في الحلال... يا امرأة!!!). صدق رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وجهاد المرأة حسن التبعل لزوجها**»[1].... فجاهدي.

الرجل بحاجةٍ للعاطفة القوية... البؤس، والشكوك، والحزن، والإرهاق، والوحدة... مشاعر صعبة يكابدها الرجل حين لا يجد إنفاقًا عاطفيًّا. ولا تتخيَّلي قسوة قلب رجل قليل الإيمان، حُرِمَ الإنفاق العاطفي مرتين... في أسرته وفي زواجه، وكمية الكراهية التي سيَصُبُّها على النساء...

(١) حديث رواه ابن عبد البر.

لا تقل قيمة الإنفاق العاطفي عن قيمة الإنفاق المالي في استمرار الحب في الأسرة... المرأة التي أدمنت التصدُّق بالكلمة الطيبة (في محلها) تُحدِث تأثيرًا عجيبًا في أصعب الرجال، وتكون هديتها مودة ورحمة.

خلق الله الأنثى، وزوَّدها بمراكز اللغة والعاطفة، لتنفق من عطفها... الرجل البخيل ماليًّا لا يختلف عن الأنثى البخيلة عاطفيًّا، كلاهما لا تطاق الحياة معه.

الرجل مُلزَم بالإنفاق المادي... ويكافح في الخارج... ليستخرج رزقه، بينما على المرأة الإنفاق العاطفي... وجعل الحب في قلبها... فما عُذْرها إنْ بخلت بالعطف وهو بين جنبيها؟!

ج- التدريب على المسؤولية... بناء أجيال واعية:

الدور الثالث الذي يتعيَّن على الأنثى فعله هو: تدريب صغارها على العناية بأنفسهم وأجسامهم، ثم العناية بأشيائهم،ثم بغيرهم، مستعينةً بقدرتها الهائلة على التشجيع والدعم العاطفي. ومع كون إناث الحيوانات أكثرها تُتْقِن هذا المجال فطريًّا؛ إلا أننا نجد الأنثى البشرية أحيانًا تعيق الجميع عن العناية بأنفسهم باستمرارها بالعناية بكلِّ أغراضهم وأشيائهم عنهم... تريد الاستحواذ على كل شيء لتُشكَر وحدها على كل شيء. والسبب أحيانًا انشغالها بأدوار ليست أساسية... وكذلك الجهل والكسل طبعًا.

فأنْ أَقومَ أنا بترتيب الخزائن أسهل من تدريب الأطفال عليه، ولكنني بهذا لا أؤدي دوري... وأصبح ضارة لا نافعة. أتدركين أنَّ أكثر سكان هذا الكوكب حقًّا لا يعتنون بأشيائهم بمفردهم، إما يعتمدون على الزوجات أو الأمهات أو الخادمات والخدم ومُوصِّلي الطلبات، بل قام الاستعباد على تلك الفكرة أنْ أُجْبِرَ أحدًا أن يقوم عني بما هو واجب عليَّ باستغلال فقره وحاجته وضعفه.

لعلكِ تعرفين أشخاصًا لو انقلبت الدنيا رأسًا على عقب حولهم لا يغسلون كوبًا ولا صحنًا... ولا يطوون قطعة غسيل. حسنًا، التعاون في بعض المهمات وتقديم بعض الخدمات

أحيانًا ليس مُضِرًّا في الأسرة، ما دام بين الحين والآخر، وليس يوميًّا، فذلك يزيد حبهم لك ولكن بعد أن يكونوا تعلموا تلك المهارة (مهارة تحمُّل مسؤولية النفس)... وأيقنوا تمام اليقين أن الاهتمام بأنفسهم هو مسؤوليتهم وحدهم، وأنَّ عليهم أن يخجلوا ويمتنوا للغير من قلوبهم إنْ قام أحدٌ بخدمتهم وعمل ما ينبغي عليهم فعله.

علاقة الزوجة بزوجها لا يجب أن تكون كعلاقة الأمِّ بأطفالها، للزوج وضعٌ خاصٌّ. المرأة تخدم زوجها وهو يخدمها، هو ينزل يحضر الطلبات وهي تُعِدُّها. لكن لا بأس أحيانًا أن يرى الأبناء الأب يُعِدُّ كوب شاي أو فنجان قهوة، أو يُعِين في شيءٍ ما، خصوصًا عندما يريد الرجل أن يكون قدوةً لأولاده، ويعيدهم للمجتمع الذي يحترم الناس فيه الشخص الذي يُظهِر الامتنان... لا الجحود وعض الأيادي التي تساعدنا. وإنْ سمع الأطفال شكر الزوجة لزوجها على خدمته، ثم شكره لها على خدمتها... عرفوا حدودهم، وباتوا يشعرون بالامتنان لِمَن يُقدِّم لهم المساعدة، وأول مَن يمتنون لهم والداهم... فالبيوت التي فيها شخص متكبر لا يخدم الآخرين... ولا يشكرهم إنْ خدموه... يرى من أولاده نفس السلوك حين

يكبرون.

لكن هل الأم تخدم أولادها كزوجها؟ لا أدري من أين يفهم بعض الأزواج أن ذلك عليها ويغضب حين تطلب من طفلها أن يرتب سريره أو يكنس أرض غرفته... تخدمهم

صغارًا عندما يعجزون عنه بلا شكٍّ، ولكن تُدرِّبهم كلما كبروا على كلِّ ما يجب عليهم فعله .

أحيانًا تقوم الأم بالخدمة مع أنه قد كبر الأطفال ليحبوها كما تقول؟!! سيحبونك عندما يشعرون أنها مهمتهم، وأن عليهم فعلها بأنفسهم، ولن يفعلها غيرهم، ثم خفَّفت مساعدتك لهم تلك المهمة الدائمة لمدة يوم أو يومين في الأسبوع مثلًا. ولكن لو شعرنا أنَّ ما يفعله الآخر بدلًا منا هو مهمته، هو لا يخفف عني... بل يقوم بما يجب عليه، فلماذا أحب شخصًا يقوم بما يجب عليه؟!! هل أحببتِ جارتكِ يومًا لأنها تكنس منزلها، ولو لم تساعدك في منزلك لمرةٍ!! هكذا الأمر لن يحبوك إنْ شعروا أنَّ ما تقومين به ليس مساعدة لهم... بل هي مهماتك، ولا شأن لهم بها.

كنا نتغدَّى أنا وأطفالي أُرزًا في يومٍ ما... فتساقطت بعض حبات الأرز البسيطة على الأرض... ولم ينتبهوا لها أصلًا، فقلت لهم: هذا الأُرز يشبهنا نحن البشر، نحن صغار الحجم في هذا الكون... وكأننا حبات أُرز... لو سقطت حبة واحدة لا قيمة لها لأنها صغيرة ولا تفيد أحدًا ولا تُشبِع جائعًا، وهكذا الإنسان الذي يعيش دون أن يكون مفيدًا لِمَن حوله يجلس في المكان لا فَرقَ بينه وبين المقعد... أحضروا لي... واعملوا لي. حسنًا لو كانت تلك الأرزة لا تفيد أحدًا، وفوق ذلك تضر الآخرين مثلًا: عفنة مُتَّسخة كالشخص الذي يسبُّ ويشتم... عندها سنفرح أصلًا حين ترمى حبة الأرز... وهكذا الإنسان المؤذي ساعة موته يفرح الكل. بينما لديك خيار ثالث أن تكون حبة أرز... ولكنك تفيد الآخرين. حبات الأرز لا تفيد غيرها... لكن الإنسان يقدر، سيظل حبة أرز... ولكن الله سيعامله كأنه قطعة ذهب أو لؤلؤ وُجِدت بين الأرز... تُعامَل معاملةً خاصةً... سيرفعك الله عنده. إياك أن تعيش كَلًّا... عِشْ نافعًا... لتكون عند الله عظيمًا... فلا تُرَبِّي أطفالك أيتها الأم على العيش الوضيع، وعوِّديهم نفع الآخرين... لا نريد المزيد من المعاقين بلا إعاقةٍ.

د- التدريب على استخدام اللغة والتعبير عن المشاعر... صقل إنسانية الطفل:

الدور الرابع: تعليم الطفل كيفية استخدام الكلمات واللغة، للتعبير عن مشاعره واحتياجاته بما يُرضِي الله (أي بالشكل الأخلاقي)، وهذا العلم مع كونه خاصًّا بالبشر لا يمارسه غير الإنسان، وهو الفرق بين حُسْن الخُلُق وسوء الخُلُق... بل هو (الدين)، فالمشاعر موجودة عند الجميع... إنما كيف يستخدم الإنسان الكلمات ليُعبِّر عما يشعر به... هنا الفرق. حتى العبادات هي طريقة تعبير عن مشاعر الشكر والتعظيم لله. كثيرٌ من الإناث أيضًا تفشل في مهمتها هذه، **لماذا؟**

أحيانًا بسبب عدم امتلاكها العلم الكافي وعدم توجيه زوجها لها للعلم، وأحيانًا بسبب عدم سماح أهلها ولا زوجها لها بالتعبير عن مشاعرها... لا بطريقةٍ جيدةٍ ولا سيئةٍ... كَبْت ينتج في البيوت المسيطرة... فتُكرِّر ما وجدت عليه آباءها، ولم يضع الأزواج خطةً لتغييره ذلك الذي وجدوه .

أحيانًا المرأة لا تُمرِّن الأطفال على الحديث أصلًا... بل تتحدث هي طوال الوقت لهم

بالأوامر... وتتمنى منهم أن يظلوا يستمعون ويقولون (حاضر)، لا يهم مشاعرهم؛ لذلك حديثها غالبًا يكون حديثًا سلبيًّا انتقاديًّا تَذَمُّريًّا... وليس تعليميًّا.

المجتمع عادةً يشغل المرأة بمهمة الحفاظ على نظافة البيت وهي أعجبها ذلك الدور فالأواني لن تعاندها ولن تعصيها ، باتت تنشغل بتنظيم الأدوات... لا بتنظيم لسان الإنسان وقلبه... وكلاهما أهم وأخطر ما في الإنسان. مع كونها لديها فطريًّا قدرة هائلة على اكتشاف المشاعر... ولديها قدرة كبيرة على الحديث عن مشاعرها، لكنها لا تُلقِي لهذا بالًا في أطفالها. نظافة البيت ليست وظيفة تُسألين عنها أمام الله، هو احتياج، فالأمر يشبه أن يترك الرجل وظيفته في الإنفاق على أسرته لأنه يحتاج للترفيه!! هذا ليس منطقيًّا!!

ما تفعله المرأة أن تُلغِي الواجب في تعليم اللغة والمشاعر والخُلُق، مقابل الحصول على احتياج الترتيب والتنظيم، خصوصًا عندما لا تجد زوجًا يعرف أهمية دورها ويغضب جدًّا إنْ حدثت فوضى في البيت لانشغال الأم مع أطفالها... لذلك من المهم كما قلنا أنْ يظل الرجل يذكر المرأة بالعلم... لكي تستطيع التركيز على دورها وتطوير طرق التواصل والبيان والذكاء العاطفي لديها ولدى أطفالها، وعلى المجتمع أن يساعدها في نيل احتياجاتها للترتيب بين حين وآخر، مرةً بمساعدة مباشرة... ومرةً بإرسال خادمة أحيانًا إن أمكن، مرةً بأخذ الأطفال في نزهةٍ قصيرةٍ بعيدًا عن الأم على فترات متباعدة ... لتشعر أنها حصلت على الترتيب والهدوء لمدة جيدة. هذه الأمور تُعَدُّ من إحسان الرجال للمرأة... ومساعدتها على وظيفتها كمعلمةٍ لأطفاله، ومطورةٍ لمهاراتهم في الحديث والحوار والتعبير عن النفس، أُكرِّر هذا إحسان... وركزي على كلمة (إحسان) لكي لا تتصرفي إنْ لم يُحسِن كأنه لم يفعل الواجب.

لكن إنْ لم يحسن لك أحدٌ... ولم تَجِدِي مَن يساعدك... وكان الكل يطالبك بالانشغال بالأدوات وتنظيمها والزيارات الاجتماعية الكثيرة... بدلًا من الانشغال بأطفالك... عندها لا تتركي مهمتك... لا تستجيبي لفتنة الناس، جاهدي لأجل أطفالك. إنْ غضب الزوج مثلًا أثناء جلوسك مع أطفالك ، وبات يشغلك بأمور غير مهمة... هَدِّئيه: (لا بأس حبيبي، أعرف أنك تحب البيت النظيف، ولو كنا بلا أطفال لكنا نتمنى مَن يُحدِث الفوضى، هكذا كل

البيوت، سنُنظِّف البيت قبل النوم، ولكن ليس طيلة اليوم، هذا ليس ممكنًا، أرجوك اعذرني اهدأ وسيكون ما يرضيك، الأمور طبيعية).

بمثل هذا الردِّ مرةً بعد مرة وبلينٍ... تدافعين عن وظيفتك، ولا تسمحي للدنيا أن تشغلك، وأصلًا أنتِ ستدرِّبينهم معك على التنظيف والترتيب، مع الزمن... الأوضاع ستتحسن، ستمرُّ لحظات عصيبة، وانتقادات مجتمعية كبيرة، حتى تعودي لِمَا يريده الله منكِ، لا ما يريده المجتمع، ولكن الجهاد ذاك أجره عظيم. التدريب على الأخلاق ليس سهلًا، المهارة الواحدة تحتاج أحيانًا عامًا من التدريب، لا تظني الأمر سهلًا. إن ظننتم الأمر سهلًا فانظروا مثلًا إلى شعور الغضب، من الغد سأطلب منكم أنْ لا تُعبِّروا عن غضبكم بالصراخ، هل ستستطيعون فعلًا التوقُّف من الغد إن كانت تلك عادتكم! لا بالطبع مجرد الطلب لن يُغيِّر شيئًا، ستحتاج التربية متابعةً وجداول وتحفيزًا وتدريبًا وتكرارًا ومكافآتٍ وعلمًا ومشاركةً ودليلًا وقصصًا وعقوباتٍ غيرَ قاسيةٍ... إنها مهمة صناعة الإنسان الصالح... متى نجحت بها الأم نالت الأسرة كلها وليس الولد وحده... خيرَي الدنيا والآخرة، ففي الحديث: «**ذهب حُسْن الخُلُق بخيرَيِ الدنيا والآخرة**»... فلا تتركي خير الدنيا والآخرة لأجل الدنيا والأدوات.

كثيرًا ما يناقش العلماء: **لماذا لم يرسل الله رسولًا امرأة؟** وأنا أقول: بل هي رسولٌ للهِ إلى الصغار، ولم يؤيدها الله بمعجزات، ولكنه أيَّدها بالعاطفة.. هي مُبلِّغة الدين، ومُخرِجة الأطفال من ظُلُمات الجهل إلى نور العلم، هي الأسوة الحسنة. فإذا بلَّغت الرسالة للأطفال يا سعدها... وإنْ قصَّرت وفشلت بعث الله رسلًا مؤيدين بالمعجزات وكُتُبًا من السماء لتصحيح أخلاقهم وسلوكهم... ركِّزي على رسالتك ومهمتك... ما فائدة بيت يلمع يخرج منه وحوش متنمرون متذمرون بجوارب أنيقة وقبعة فاخرة!!

تخيَّل شخصًا إذا كره انتقم، وإذا غضب صرخ، وإذا خاف كذب، وإذا حزن اكتأب، وإذا غار حسد، وإذا فرح تباهى، وإذا أحبَّ تعلق، وإذا رغب بأمرٍ عَانَدَ، وإذا اختلف مع غيره شتم... إنه أسوأ طفل لا تتمنى أسرة اكتسابه، لكن هذا بالفعل هو مصير كل طفل على الأرض لم تتفرَّغ أمه لتدريبه على التحكُّم في مشاعره واستخدام اللغة الصحيحة ليعبر عن نفسه... إنها أعظم وظيفة للأنثى: صناعة الإنسان الصالح.

هـ- وظيفة الوزير الأمين... حفظ المال والأسرار:

المرأة تحفظ الأموال وتحفظ الأسرار. قال تعالى في موضعين من كتابه، وهو يتحدث عن الأموال: ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ﴾ [النساء: ٧، ٣٢]. هنا نجد الواقع للأسف يُحدِّثنا عن زوجاتٍ... أزواجهنَّ لا يسمحون لهنَّ حتى بلَمْس الأموال، لا يعطيها الزوج مصروفًا ولو قليلًا، لا يلتفت لها، ولا يلتفت حتى لِمَا تطلبه خارج ما يهواه، يقول: هذا ليس مهمًّا... وهذا استغني عنه... وهذا ليس ضروريًّا، والرفض ليس لشهرٍ أو لظرفٍ، بل هو قانون حياة. ويقوم الرجل بدور الإحضار والتقسيم والمحاسبة وكل شيء، فالحديث المشهور الذي يُعدِّد صفات الزوجة الصالحة فيه: «**حفظته في نفسها وماله**». فلو لم يكن أصلًا لها دور في الأموال؛ **فكيف يمكن معرفة حفظها لِمَالِهِ؟** وهناك على النقيض من النساء مَن تمنع الرجل من القيام بمهماته الاجتماعية (الحَسَب)، وتتحكم وتحاسب الرجل على كل نفقاته، وتريد كل ماله لها، وهنا تكون الزوجة لم تَقُمْ بدورها. فأَعِيدَا لأنفسكما الأدوار الصحيحة، فأنتَ بمالكَ تحتاج أن تصنع بعض المكانة الاجتماعية في الخارج... تهدي... وتصلح بعض مشاكل الفقر واليُتْم

و... و... و...، فإذا عرفتِ المرأة حدَّها ولم تطمع بغير نصيبها، وعاد العدل... نسأل الله من فضله عندها لِتَتمَّ الحياة.

كيف تتصرَّف المرأة بمال زوجها وكيف تكون حافظةً له؟

بعضهنَّ تبخل بالمال بخلًا شديدًا، ولا تستخدم المال في منفعة الأسرة، وتمارس الكَنْز والادخار فقط، ولهنَّ قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يا معشر النساء؛ تَصَدَّقْنَ ولو مِن حليكنَّ**». وأحيانًا على العكس... تنفقه كله بالتفاهات والكماليات، وتقليد الجارات والممثلات والسلافات بكل أنانيةٍ وجشع، ولا تركز على البحث عما يحتاجه كل فردٍ في الأسرة بشكلٍ خاصٍّ... فتطبخ بحسب رغباتها ونظرتها، وتُحضِر الملابس بحسب ذوقها ورأيها، وهذا على الدوام ليس أحيانًا، فآراء الذين يشاركونها في المنزل لا تهمها. فكما نصحنا الرجل في قوامته أن لا ينسى ترك مساحة للمرأة... اتركي مساحةً جيدةً من القرارات لِمَن معكِ؛ لأنهم عدة أفراد يعيشون معكِ. علِّميهم كيف يطرحون احتياجهم، وفي نفس الوقت يراعون الآخرين، ولا يُثْقِلون الطَّلَبات.

أما حفظ أسرار الأسرة ما أمكن: وهو وإنْ كان دورًا مشتركًا بين الرجل والمرأة، ولكن طبيعة الرجل النفسية إنْ كانت سَوِيةً تساعده في كتمان أسرار بيته، وحين تجد رجلًا يتحدَّث عن مشاكله الزوجية، أو يتباهى بحب زوجته وما يفعلانه... تجد الكل يستمع له باستخفافٍ، ويبدو لهم أنه يستعرض، بينما المرأة الهشَّة نفسيًّا كثيرًا ما تفرح بحصولها على التعاطف في مشاكلها، وتفرح بتأكيد أنها مميزة عند زوجها في أيام أفراحها، وهذا يجعلها إنْ لم تكن تحترم كيان أسرتها مِذْياعًا ينقل كلَّ ما غاب عن أعين الناس إلى آذانهم. وبالتالي؛ تفقد القدرة على اتخاذ القرارات التي تناسب كيان أسرتها.

تقول امرأةٌ: هناك رجال ثرثارون أيضًا ويفشون الأسرار.. أقول لكِ: من السهل أن تعيبي على الرجل أنه يتصرف كالنساء... ولكن ركِّزي على مهمتك إنْ أحببتِ أن لا تنجبي المزيد من الثرثارين الذين لا يحترمون بيوتهم وأسرارها، فعلِّمي أطفالكِ ذلك بأنْ يَرَوكِ تحفظين أسرار البيت وتحفظين السر.

يبين الله قيمة ذلك الدور لكِ... فقد سوَّاه بأهمية دور قوامة الرجل وإشرافه على البيت بقوله: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: ٣٤]. فإذا أردتِ أن تكوني حقًّا ملكة بيتك، وتنالي قوةً تساوي قوة القوامة، وتكون أفكارك وقراراتك واختياراتك تحت سيطرتك أنتِ، وليست تحت سيطرة جاهلة أو حاسدة أو منفعلة أو كارهة أو مريضة بوهم الكمال أو مريضة بالتبلد بحُجَّة الصبر.. إن أردتِ فعلًا أن تكوني وزيرة البيت بكيانك وعقلك... وتكوني مُكمِّلة لقوامة الرجل... وتؤدين دورًا يمكن هذا البيت من الاستقلال والتميز والاستمرار؛ عليك التمرس على حفظ أسرارك.

فقد قيل: «أعداء المرأة ثلاثة: الرجل، والأعظم شرًّا منه امرأة مثلها ، والأعظم شرًّا منهما جهلها». لو نادت المرأة القديمة التي أوذيت في الطريق بدلًا من نداء (وا معتصماه)... وقالت: (وا أماه)... لقالت لها أمها ربما : (لا تبالي... اصبري لستِ آخر مَن يُهان ... ارجعي، أكملي طبختك، ولا تخبري زوجك بما جرى)... أما الرجل الشريف فلا يستهين بأذى المرأة ويحميها، سمعت أحد الجنود الذين كانوا يعترضون على تجنيد النساء بحُجَّة المساواة يقول: (إنْ تجنَّدت المرأة معنا... فليخبرني أحدٌ مَن الذي بقي لندافع عنه، ونعرض أرواحنا للخطر لأجل حمايته!).

وأنتِ إنْ سلَّمتِ كل قراراتك لأخواتك وأمك وصديقاتك... ما الذي بقي لك لتتملكيه وتدافعي عنه في المنزل!! وهذا لا يعني عدم استشارة متخصصين بُعَداء... لنضمن أن لا يكون دافع الحسد مُتدخِّلًا في استشارتهم، فقد رُوِيَ عن عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «مَن استبدَّ برأيه هلك»، وقال تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾ [النحل: ٤٣] ... لا الأصدقاء والأقرباء.

كان كافيًا لإبراهيم -عليه السلام- أن يرى زوجة ابنه الأولى لا تملك هذه الصفة وتتذمر للغرباء ... ليأمره أن يُغيِّر عتبة منزله، أي: يُطلِّقها.

لو قالت المرأة: (وا أماه) بدلًا من (وا معتصماه)؛ لقالت أمها: (لا تبالغي... لستِ آخر مَن يُهان، اصبري ولا تخبري زوجك بما جرى)... هل يمكن للمرأة أن تكون زوجةً صالحةً إنْ لم تتعلم أنْ لا تُثَرْثِر بمشاكلها لِمَن هبَّ ودبَّ؟

والآنَ ختامًا، قومي ببحثٍ على جوجل كالذي عمله الرجل في نهاية أدواره ... اقرئي أكثر عن تركيبتك البيولوجية كأنثى، وأهمية العاطفة والحب للنمو والبشر، وعن مخاطر نمو الأطفال بدون حبٍّ، وخطر الحرمان العاطفي؛ لتعلمي لماذا كان ضروريًّا وجود أنثى على الأرض تُوكَل لها مهمة إهداء الحب. فلأجل أيِّ شيء حوَّلكِ أعداءُ الله لمخلوقٍ يوزع الكراهية والفتنة بنكهة ورائحة العطور والمساحيق المستوردة ، حتى باتت الكراهية حزبًا اسمه النسويات!!!

عبر منشورٍ لها بحسابها الرسمي على إنستغرام قالت الشيخة بدور القاسمي: (جيلنا مشغول للغاية بمحاولة إثبات أنَّ المرأة تستطيع أن تفعل كل ما يمكن للرجال القيام به... لم تُخلَق النساء لفعل كل ما يمكن للرجل القيام به، بل خُلِقت النساءُ لفعل كل ما لا يستطيع الرجل القيام به).

والآنَ... بعد أن عرفتِ أهميتكِ للأسرة، أنتِ أيضًا اسألي نفسكِ:

هل أنتِ راضية عن هذه الأدوار لكِ في الأسرة؟

هل تتخيَّلين شخصية الطفل الذي ينشأ في بيت أمٍّ تؤدي واجباتها؟

هل تشعرين بأن أي واحدٍ من المهمات فيه ظلم لكِ؟

هل تعتقدين أن كل ما نكرهه في الرجال الكبار اليوم من عدم تحمُّلهم مسؤوليتهم، وعدم القدرة على التعبير بشكل صحيح عن طلباتهم ومشاعرهم... سببها قصورٌ حصل في الصغر في مهمة الأمِّ؛ إما بسببها، أو بسبب إشغال الأب لها عن مهمتها؟

هل تَجِدين أن الطفل مخلوق مهم جدًّا يستحق أن ينال أمًّا مهتمة به هكذا؟

هل أنتِ مستعدة لتحمُّل أدواركِ على أكمل وجهٍ وأن تفخري بها؟

هل تستطيعين توضيح أهمية أدوار النساء لأُسَرهم... لأطفالكِ؟

هل أدوارك تُغني الأسرة عن أدوار الرجل... تنفقين على نفسك، وتدعمينها، وتحلين مشاكل المجتمع، وتضعين أهدافًا للجميع، وتتابعينهم وحدك، ويمكنك إقصاءه كليًّا بإرادتك، واستلام أدواره كلها، دون أن يؤثر ذلك على مهماتكِ بشيءٍ ويُشكِّل ضغطًا عليكِ؟

بالطبع... لا، إذن هل تُقدِّرين دور الرجل كما تُقدِّرين دوركِ؟

ما يجري في المجتمع هو أنكِ تقومين ببعض أدوار الرجل بدلًا منه، وهذا يناسب جدًّا الرجال الكسالى، ويخدم الذين لا يتحمَّلون المسؤولية كرجالٍ، ثم هو لا يستطيع أنْ يقوم بمهمتكِ مهما فعل... هو غير مُؤهَّل لتدريب وتعليم الأطفال المسؤولية واللغة والعاطفة قبل أن يبلغوا السعي ويفهموا، فتذهب الأسرة للضياع.

مهمتك أعظم مِن أنْ تتركيها لغيركِ، وتنشغلي بمهام الرجال، فلا تسمحي للمجرمين أن يستدرجوكِ بالأدوار المادية التي تُنسِيكِ أدواركِ الإنسانية. تخيَّلي لو كان الأطفال والمال لا يُولَدون... بل ينزلون من السماء كالمطر، ونزلت غيمة بطفل ومال، ثم اختلفتما مَن سيأخذ الطفل، ومَن سيأخذ المال، فجاء الدين وأعطى المال الجامد للرجل وأعطاك الطفل، وقال للرجل: اذهب واشترِ لها حاجاتها وحاجات طفلها وأحسن لها، وقال لكِ: اصنعي من هذا الطفل عالمًا صالحًا إنسانًا، تعلَّمي وعلِّميه بالحبِّ والعواطف، فهل هذا احتقار لكِ؟! هل

مهمتكِ منحطة لدرجةٍ تجعل الأزواج النرجسيين المتنمرين الذين لا يفهمون مهمتكِ، ويحاولون انتقاصكِ طوال الوقت قادرين على إبكائكِ، وجعلكِ تشعرين بالمهانة والغضب من أنوثتك... ومن ثَمَّ تكرهينها، بل وجعلك تكرهين إنجاب البنات وأنتِ أنثى!!

اكرهي انشغالك الدائم بأدوارٍ غير أدوارك، وأعيني الرجل على أدواره بالشكر والتقدير فقط... يقول جوردن بيترسون: (لا توجد امرأة تريد أن تجد رجلًا عليها أن تدعمه... السبب في ذلك هو أنها في الواقع تبحث عن الدعم؛ لأنها تريد أن يكون لها أطفال، وهذا معقولٌ تمامًا... النساء يُفضِّلنَ رجالًا أعلى منهنَّ في التسلسل الهرمي... والرجل يميل إلى الأقل هيمنةً في السلم الهرمي). إذن... فأنتِ تخسرين دعم الرجل حرفيًّا عندما تريدين الهيمنة على مساحته، وعدم التركيز على تنمية أطفالك، بل التركيز على مساواته في السلم الهرمي، وتقليص الاختلافات بينكِ وبينه، أو حتى جعله تحتكِ مُسيطَرًا عليه، مُسخَّرًا لكِ؛ ليقوم عنكِ بمهماتكِ.

يقول جوردن بيترسون أيضًا: (الاختلافات بين المرأة وبين الرجل كبيرة جدًّا... لا يمكن تقليصها بالهندسة الاجتماعية، ولا تتأثر بمؤثر خارجي... لأنَّ هناك سببين للفوارق بين الرجال والنساء... الأول ثقافي... والثاني بيولوجي، وإذا قمنا بتقليل الفوارق الثقافية؛ فإننا بذلك نُوسِّع الفوارق البيولوجية)، أي: يتنافرانِ ويكرهانِ بعضهما كلما دمجنا مهماتهما الأسرية، ولم نجعل لكلٍّ منهما مساحته الإبداعية الحرة... يكمل (في المتوسط الرجال يهتمون بالأشياء... والنساء تهتم بالبشر... وهذا في الواقع أكبر اختلاف سيكولوجي نفسي نعرفه بين الرجال والنساء). فلا عجب أن يُوزِّع الله علينا مهمات تناسب تركيبنا.

والآنَ تحدَّثنا عن أدوار الرجل والمرأة للأسرة... ولكن ماذا عن علاقة الرجل بالمرأة بعيدًا عن الأسرة في نطاق حياتهما الخاصة، علاقة الإحصان... إنها أكثر العلاقات تميُّزًا في تاريخ الأنوثة والذكورة؛ فهي لا تشبه أيَّ علاقةٍ بين ذكر وأنثى في الطبيعة الحية والجامدة.. حتى القرآن جعلها آيةً... سنتحدث عن هذا في الباب القادم إن شاء الله.

أدوار الأنثى في الأسرة :
1- الاختيار
2- الانفاق العاطفي
3- التدريب على المسؤولية
4- التدريب على اللغة والمشاعر
5- الوزير الخازن للمال والأسرار

٧. علاقة الذَّكر بالأنثى

أولًا: علاقة المحصنين... حصن وسكن:

كلما تكوَّنت دولة قوية في التاريخ أصبح لها أعداء، ولأجل حماية الدولة كانت تُقام الحصون... أماكن مرتفعة، الهدف منها إبعاد الأعداء والحفاظ على الأحبة.. قال تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ [النساء: ٢٤].

الزواج الذي أحله الله لك أيها الرجل... هو الذي تكون فيه لزوجتك كالحصن الحامي من الأعداء. ولا تكون (مسافحًا)، وما معنى (مسافح)؟ يقول الطنطاوي في «تفسيره»: (لا غرض له إلا صَبّ النطفة فقط، دون نظر إلى الأهداف الشريفة التي شرعها الله وراء النكاح). ومع أن بعض المفسرين فسَّروا (مسافحين) بأنه الزنا، لكنني أخالفهم فالآية تتحدث عن شروط الزواج الحلال (وأُحِلَّ لكم)، فهي تتحدث للرجل عن نيته من الزواج.

وما دور الزوجة؟ هل تجلس تتفرَّج؟ لا بالطبع، هي ليست بقوة الرجل لتبني حصنًا، فاختار الله لها أن تبني في الحصن سكنًا إذا تعب الرجل أَوَى إليه... ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

حسنًا، هيا نبني الحصن، أين سنبنيه؟ دعونا نرى ما الذي يفعله الأزواج لإبقاء الزواج مستمرًّا:

١. بعضهم يبني الحصن حول أسرته الأولى... ويعتبر زوجته العدو الذي لا بأس أن يخسره لرضا أهله،أو العبد الذي أسروه من دولة أخرى فيسخرونه لهم ، فهو يقول للزوجة: لديَّ حصن قبلك... وعليك فقط دخوله لشهوتنا فلديه (مشكلة الارتباط بالماضي). هو لا ينوي أصلًا من زواجه أن يُحصِن للزوجة... بل أنْ يُحصِن لأهله بها، ويأخذ شهوته، هذا مسافحٌ فعلًا.

٢. بعضهم يبني الحصن حول نفسه هو ، هو يرى نفسه ذاتا مقدسة لا يجوز المساس بها

أو يرى نفسه شجرة آدم ... ويُبعِد زوجته عنه... ويحاول حماية نفسه منها، وكأنها عدو... يرمي السهام عليها بالنقد والغضب والتهديد والوعيد ؛ لإضعاف خطرها عليه، كما قالت إحدى الزوجات في حديث أبي زرع: «لا سَهلٌ فيُرتَقَى... ولا سمين فيُنْتَقى» فلديه (مشكلة فوبيا العواطف، وفَقْد الثقة في الآخرين).

٣. بعضهم يبني بدل الحصن سجنًا لا يوجد فيه الكثير من البهجة والاحتياجات... والمسجون يُضيَّق عليه ويُعامَل كعدوٍّ لا كحبيب... ولو كنا نحبه. صاحب السجن مشكلته أنه يحاول (تثبيت شعور الاحتياج إليه)، هو لا يشعر بأنه مهم إلا إنْ سمع توسُّل الآخرين أن يُحضِر طلباتهم، كثيرًا ما يحدث هذا عندما يحدث تقصير في الإنفاق العاطفي من الزوجة .. ويحصل ربما دون إدراك الزوج ، فبدلًا من أن يثبت لديه شعور أهميته حين يُشكَر على عطاياه ، يؤدي حرمان الشكر إلى جعله ينتقل إلى حاجته أن يرى رغبتهم في عطاياه. ولا نضع أسبابًا لنُبرِّر تلك الأفعال... كلها خطأ، وتدل على ضعف يقينٍ بأن الجزاء من الله.

٤. بعضهم يعمل الحصن على أولاده فقط ... ويُعيِّن زوجته حارسًا يُلام على كلِّ ما فعل الأولاد!! ويعاقب ويعاتب فهي العدو الذي يؤذي أولاده الأعزاء .

حسنًا، كل تلك الطرق لن تجعلك مُحصِنًا... ولن تجعل زوجتك تحبك وإنِ احتاجت إليك، ربما تكون محتاجًا لوظيفتك لكنك لا تحبها، هكذا سيكون الأمر. دعني أخبرك بخطةٍ:

تخيَّل أنكَ وزوجتك في حصن الحلال، والشيطان يريد أن يخرجكما من الحصن؛ لتنتقلا منه للحرام، كيف سيُغْوِيكما؟ كما أغوى آدم وحواء، سيبحث عن ممنوعٍ عنكما ليُغْرِيكما به.

- إنْ منعتَ زوجتك كرمك المادي بحسب وُسْعك... سيُغْرِيها بالعمل في الخارج؛ لجلب المال، أو المقارنة بينك وبين مَن هم أكرم منك.
- إنْ منعتَ عنها شعورها بأنها مهمة، فلا تهتم بأخبارها، ولا أحوالها... ستشتاق

لاهتمام غيرك.

- إنْ منعتَ زوجتك الكلام الطيب العادي... أغواها بالشوق إلى الغناء والدفء العاطفي في الخارج ، إن لم يكن ما هو أخطر .
- إنْ منعتَها حقَّها في الحديث... فلا تسمع لها، ولا تعطيها وقتًا لتتحدَّث، سيُغْويها بالثرثرة مع شخصٍ سيفهمها.
- إنْ منعتَها حقَّها في الفراش الذي يكون من مُحِبٍّ لا من مسافحٍ؛ ستشتهيه.

تخيَّل لو سألكَ ملكُ الموت: لِمَ اشتهت زوجتك غيرك، وأنت موجود، وبيدك الحلال، ولَمْ تُعطِه إياها؟ لِمَ المغني والممثل نجح في تمثيل دور المحبِّ لأجل المال، ولم تنجح في إشعار امرأة واحدة فقط بالحب لأجل الله؟ لَمْ تُوقَ شُحَّ نفسك وبخلتَ بالذي تَقدِر عليه... غَادِرْ الحياة بوصف ظالم... عياذًا بالله!

لا أقصد زرع الشكّ فيك من زوجتك، وأنها طوال الوقت ستبحث عن غيرك، فأنتَ تزوجتَ عفيفةً مؤمنةً منذ البداية، وبعض النساء يموت زوجها ولا تبحث عن غيره، وانظر إلى عدد الأرامل اللاتي لم يتزوجْنَ بعد أزواجهنَّ، فكيف في حياتهم؟! فلا تعادي زوجتك... ولكن اصرف شكَّك للشيطان، ووَجِّه تفكيرك على إفشال خططه... بتأمين كل ما تتمناه الزوجة من المباحات، وأقول: مباحات؛ لأنها قد تطلب المحرمات أو فوق طاقتك، وعندها تكون هدمت الحصن بيدك، بل وفتحت الباب للأعداء، فكلُّ الزواج قام لأجل الابتعاد عن المحرمات. حسنًا، ماذا لو كنتَ تكره زوجتك، ولا رغبة لديك بأن تحبَّك؟ فحبُّها خانقٌ... وهي التي تُحوِّل حصنك لسجن، اصبر مدةً مع توجيه زوجتك نحو العلم والدورات لتُغيِّر صفاتها التي تزعجك.

حاول أن تسمع زوجتك أو تطلب منها كتابة رسالة مهذبة بالذي تتمناه، أعلم أنك تَمَلُّ من سماع الثرثرة، ولكن قد تعرف أكثر ما تتمناه من شكواها، ميِّز ما هو مباح واحذف الحرام... ثم انظر ما هو المباح الذي تقدر عليه. هل هو نزهات مباحة؟ هل هو اتصال يومي؟

هل هو كلام جميل؟ حاول توفيره كما توفر الطعام والشراب... لن يعجزك ذلك صدقني.

في يوم ما كنتَ لا تحسن إحضار طلبات البيت، وتعلمت ذلك... فاعتبر تلك الرغبات جزءًا من الطلبات. عندها لو غادرت المنزل وابتعدت ستكون مطمئنًا أن زوجتك في حصن حبك، وأنك لم تقصر، ولن تلام عند الله.

نأتي للزوجة، أنتِ أيضًا ستكونين سكنًا لزوجك، تخيَّلي يوميًّا على الباب امرأة تغويه بكل حرام منعه الله، و كل ما تتكاسلين عن الإحسان لزوجك به. فإنْ ملأتِه قبل الخروج بالإنفاق العاطفي، فلن تفعل المرأةُ شيئًا لزوجك... لا تثقي بالحب القديم والوعود الأولى أن لا يخونك.. فهو وعدٌ على ما ظنَّ أنه سيجده ،ظن أنك ستكونين سكنه ، فلا تهملي سَكَنك وتلومي زوجك. ركِّزي على أبواب الحصن التي شدَّد فيها الدين.

هل تعرفين حديثًا لعن فيه الرسول امرأة لم تطبخ أو تغسل أو حتى لم تتكحل لزوجها وتُكبِّر شفاهها له؟! على العكس تجدين الإسلام يمنعك أصلًا من التفكير بتلك الصورة... فيضع قيودًا كثيرة على التجميل الجسدي. إذن؛ ما الذي عليك التركيز عليه وتهددين بسببه، شدَّد الإسلام على الفراش لأنه باب الفتن. لا تهملي بناء الباب وإحكامه وإتقان صنعه، لا تكوني كقصة الخراف الثلاثة التي بَنَت سكنًا من القش والخشب والطوب القوي، فأكل الذئب الكسالى الضعفاء وفاز المتقن، فهل أنتِ لزوجكِ سَكَن مِن قشٍّ هشٍّ، أو خشب يضعف مع الوقت، أو سكن مكين..؟؟

أنتِ أيضًا لن يعجزكِ أن تنفقي عاطفتك في بناء السكن، كنتِ يومًا لا تحسنين الطبخ وتعلمتِه... فتعلمي فنون العلاقة السعيدة. كم ممثلةٍ تؤدي أدوارًا ساخنةً في الحرام لأجل المال؟! وكم زوجةٍ لا تؤدي حتى دور الماء الفاتر لأجل الله؟!

ألا يستحق الحلال أن نعمل حراسًا عليه... كما يعمل أهل الحرام كل شيء لأجل حرامهم؟؟

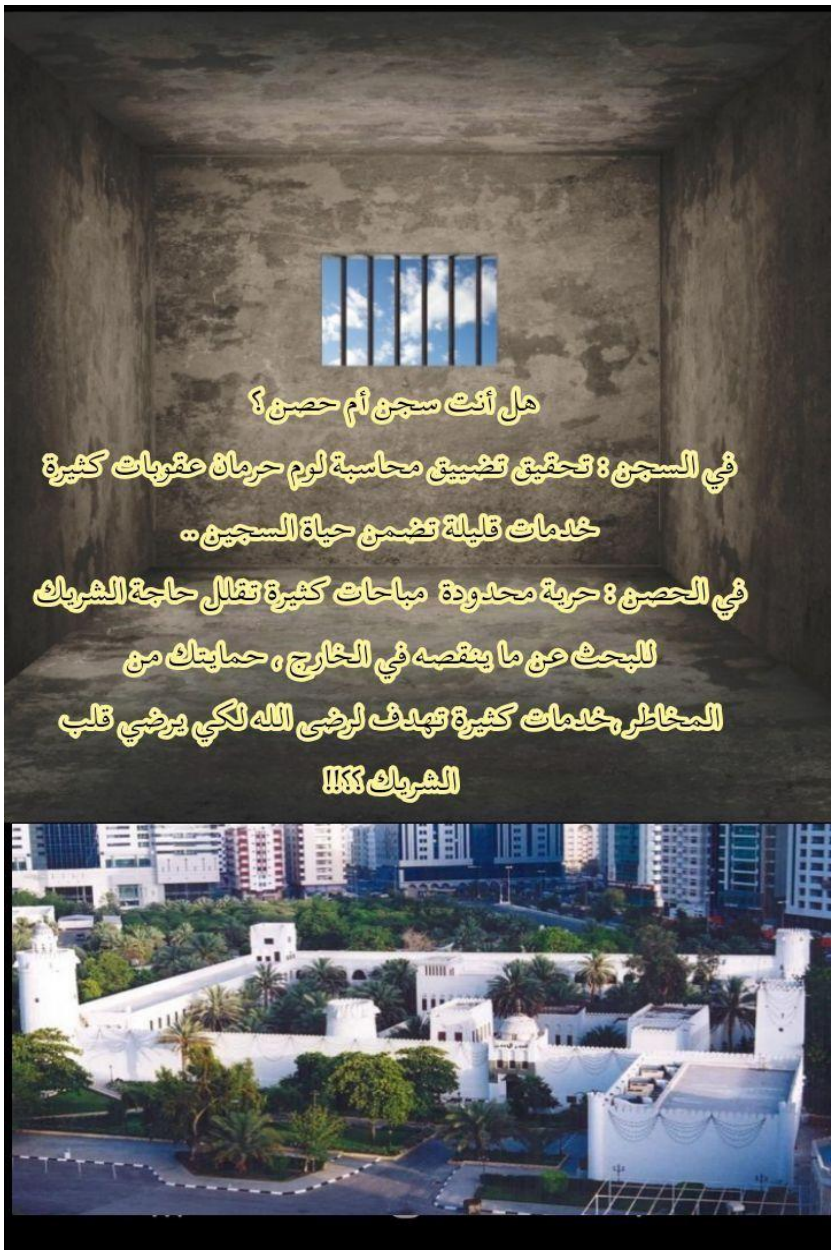
هل أنت سجن أم حصن ؟
في السجن : تحقيق تضييق محاسبة لوم حرمان عقوبات كثيرة
خدمات قليلة تضمن حياة السجين ..
في الحصن : حرية محدودة مباحات كثيرة تقلل حاجة الشريك
للبحث عن ما ينقصه في الخارج ، حمايتك من
المخاطر ،خدمات كثيرة تهدف لرضى الله لكي يرضي قلب
الشريك ؟؟!!

ثانيًا: علاقة الشقائق... التكامل والعدل:

(إنما النساء شقائق الرجال) هكذا وصف رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ المرأة، ليخبر الرجل أنها ليست بلا مشاعر، هي تشعر بالشهوة مثل الرجل، ولكنها لا تُعبِّر عن مشاعرها بطريقته، وكذلك يفهم بالتبادل أن هذا الرجل الذي لم تَرَيْ دمعته ويُظهِر الكبرياء هو أيضًا مُرهَف المشاعر... ولكنه لا يُعبِّر عن حبه وحزنه بطريقتكِ. إذن؛ الرجل والمرأة شقائق. كذلك عبَّر الله عن تلك العلاقة بوصف غريب جميل: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، فكلا كما عارٍ بدون الآخر، يشعر بالنقص والوحدة بدونه، إنه التكامُل والتكافؤ إذن. لَمَّا تحدَّث الله عن العزيز وزوجته قال عنه: ﴿سَيِّدَهَا﴾ [يوسف: ٢٥]... فعبَّر عن حقيقة المعاملة التي كانت تُعامَل بها النساء في زمانهم، مع كونها ملكة إلا أنَّ النساء كُنَّ كالعبيد مع السيد، لكن القرآن في كل أجزائه حتى مع سيد الخلق صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وزوجاته كان يتحدَّث عن زوجية متكافئة: ﴿تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]، ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]. وتعجَّبتُ من الآية التي ذُكِر فيها الزوج ناشزًا مُتكبِّرًا لم يُسمِّه زوجًا ولا سيدًا... سمَّاه بعلًا: ﴿خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النساء: ١٢٨].

البعل: الأرض المرتفعة التي لا يسقيها إلا المطر، فهو استغنى عن ماء المودة من زوجته ولم يَعُدْ بينهما سقاية، وفي الخريف سيذبل.

نعود لألفاظ التكامل في القرآن والسُّنَّة: شقائق متشابهة، ثم ملابس متكافئة، ثم لفظة (أزواج) التي فيها اقتران، ثم قوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الروم: ٢١] فهي جزء منك ولك، وقوله: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥] ... وأنت بعضٌ منها، وهي بعضٌ منكَ. كل هذا يُبيِّن لنا إلى أين يريد الإسلام أن يقودنا، إنه العدل، النص القاطع الذي جاء به الإسلام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وبسبب هذه المقدمات جاءت النتيجة التي لم توجد عبر التاريخ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

(أخذ الأوروبيون عن العرب مبادئ الفروسية وما اقتضته من احترام المرأة، والإسلام لا النصرانية هو الذي رفع المرأة من الدرك الأسفل الذي كانت فيه، وذلك خلافًا للاعتقاد الشائع، وإذا نظرتَ إلى سنيورات نصارى الدور الأول من القرون الوسطى رأيتَهم لم يحملوا شيئًا من الحرمة للنساء. فالأوروبيون كانوا غلاظًا نحو النساء قبل أن يتعلَّم النصارى من العرب أمر معاملتهنَّ بالحسنى، ومن ذلك ما جاء في تاريخ لولوهيران عن معاملة شارلمان نفسه لهنَّ: انقضَّ القيصر شارلمان على أخته في أثناء جدال، وأخذ بشعرها، وضربها ضربًا مُبْرِحًا، وكسر بقفازه الحديدي ثلاثًا من أسنانها). جوستاف لوبون.

يقول روجيه جارودي: (الاستخفاف بالنساء لم يكن وَقْفًا على رجال الكنيسة وحدهم، ففي العصر الحديث وعلى صعيد معاكس؛ لم يكن نيتشه أكثر عطفًا عليهنَّ، فقد قال: إذا قصدتَ النساءَ فخُذِ السوط معك).

ماذا عن الرومان؟ (عرَّف أرسطو طاليس الجنس الأنثوي على أنه ناقص مَعِيب، والجنس الذكوري على أنه مقياس ومعياري، وقد أدَّت الممارسة العملية لهذه الفلسفة إلى أن الرجال -وكانوا غالبًا من العبيد- قد أصبحوا هم المسؤولون عن التعليم المبكر للأطفال الذكور، بدلًا من أمهاتهم). ديبورا سوير.

واسمع هذا أيضًا في ثورة «التنوير والحرية»: المرأة لا تدخل في مفهوم الإنسان! ففي وثيقة الثورة الفرنسية: (يُولَد الإنسان ويظل حرًّا ومتمتعًا بالمساواة في ظل القانون)، إن الإنسان المعنيَّ هنا لم يكن سوى الرجل. فرانسواز جاسبار.

أنقل هذا لكي نعلم كذب الذي ادَّعى الكراهية بين الجنسين مصدرها الإسلام، وأن الإسلام ذكوري أو أنوثي، وأنه ينحاز لجنسٍ ما، ويريد زيادة سطوته، وكَذَبوا والله... بل هي مَسطَرة العدل الرباني.

ليخرس صوت شيطان الكبر المتحدِّث على لسان الرجل: (أنا خيرٌ منها... أنا الرجل المنفق القوي... البقاء للأقوى... خُلِقتُ من رجولةٍ... وخُلِقت هي من أنوثة.. عليها لي الاحترام والتقدير والطاعة والتعظيم والتكريم، وليس لها عندي شيء سوى الطعام والشراب، ليس

لأنهما حق، بل لِأُذِلَّها وأضمن حياتها في خدمتي).

هذا ظالم، وأنصحه في أذنه أن يحاول أن يقرأ في كتاب الكبائر (باب الكبر)... ذلك لمصلحته؛ لكي لا يقال له يوم القيامة: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩].

وكذلك فليخرس صوت الكبر الشيطاني المتحدِّث على لسان المرأة: (أنا خيرٌ منه، البيوت قائمةٌ على صبر النساء، وراء كلِّ عظيمٍ امرأة، بدوننا يضيع الأولاد، أنا أذكى منه وأفكر أفضل منه، أنا التي جعلت منه بني آدم).

أستغفر الله تعالى من الظُّلْم... والظُّلْم ظُلُمات، فأَنِيري عقلك قبل أن تكوني حطب جهنم... واقرئي باب الكبر أيضًا.

"ولكن.. أنا.. بل هي...ولكنه ، ولكنها " اششششش، كلاكما كاذبٌ، أنتما عند الله ملعقتان متشابهتان، كوبان من نفس المعدن، بنطال بقدمين، قفازان، توأمان من أمٍّ وأبٍ واحد، منه خلقت ومن امرأة مثلك وُلِد.. ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

لا أريد سماع لغة الشيطان، لا على الألسن، ولا في العقل، كلاكما على الأرض عبدٌ عند الله... والله وحده السيد، أنت عبد وهي أمة عند سيد واحد ، كلاكما طلب الله منه أن يُحصِن الطرف الآخر، ويحسن له، ويعبد الله بحُسْن الخُلُق معه؛ ليدخل الجنة...

اششششش، أَسْكِتْ أيها الرجل مَن تقول لك مِن أهلك: (أنت الرجل... اكسر رأسها وأدِّبها واشتمها واحبسها)، قُلْ لها: (طُرِدَ إبليس من الجنة بالكبر، أتريديني أن أُحْشَر معه؟ أَوصِيني بالصبر والمرحمة، حرام عليك).

وأنتِ يا امرأة أَسْكِتِي مَن تقول لكِ: (أَذِلّيه بحاجته للفراش، وامنعيه منكِ... ليرى قَدْره، وأنكِ المسيطرة هنا... مَن يظن نفسه)!.

كلما قرأ الإمام يوم الجمعة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، تَذَكَّر أنه يقصدكَ ويقصدها ليُسكِتَ الكبر الشيطاني كل أسبوع، ويقول له: اششششش..

فإنْ علمتما القاعدة الأولى في الإسلام والتي هي (العدل)... ستفهمان بقية تشريعاته التي جاءت لتنظم الفوضى، وتُدخِلكما حياض السعادة في الدنيا والآخرة..

وهذا ما سنفصله في المقال التالي.

عندما تكون لباسًا لشخصٍ ما... ثم تُصِرُّ أن تجعله يعيش عاريًا.. شُحًّا بالنفس واستكبارًا.. فاعلم أنك لم تفهم يومًا الفرق بين الإسلام والجاهلية.

لا تجعل شريككَ يتمنى شيئًا عند غيرك وأنت تملكه.

٨. تنظيمات الدين في مقابل الجاهلية العالمية

العدل مبدأ الإسلام ومسطرة التوحيد ، ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾ [آل عمران: ٨٥]. يُنهِي الدين فكرة أن هذه الأسرة مجرد طريقة لجلب المال والشهوة أو فرض السيطرة، لتصبح التزامًا من طرفين يُعَد الإخلال به جريمة لا يُستهان بها.

نجد الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يخاطب الرجل الذي يحاول التخلُّص من مسؤولية أسرته بقوله: «**كفى بالمرء إثمًا أن يُضَيِّعَ مَنْ يقوتُ**». ويهدده في حديث آخر: «**ما من عبدٍ يسترعيه الله رعيّةً يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيّته؛ إلا حرَّمَ الله عليه الجنة**».

وكذلك يُهدِّده في التهاون بحق المرأة المالي: «**أيّما رَجُلٍ تَزَوَّجَ امرأةً على ما قلَّ من المهر أو كثر، ليس في نَفْسِه أن يُؤَدِّي إليها حَقَّهَا، خَدَعَها، فمات ولم يُؤَدِّ إليها حقَّها لَقِيَ الله يوم القيامة وهو زانٍ**».

ثم كما يهدد الرجل من تضييع أسرته بحثًا عن الدنيا، نجد الإسلام على العكس يُرغِّبه بكل الطرق أن يهتم بأسرته، ولا يتركها بلا رعاية. فلدينا حديث: «**خيركم خيركم لأهله**». ولدينا حديث: «**مَن أنفق على ابنتين أو أختين أو ذواتي قرابةٍ يحتسب النفقة عليهما حتى يغنيهما من فضل الله أو يكفيهما؛ كانتا له سترًا من النار**». وحديث: «**مَن كان له ثلاث بنات، فصبر عليهنَّ، وأطعمهنَّ، وسقاهنَّ، وكساهنَّ مِن جِدَتِهِ** (من غناه)**؛ كنَّ له حجابًا من النار يوم القيامة**». ويُشجِّعه على الإنفاق على أهله: «**إنكَ مهما أنفقتَ على أهلك مِن نفقةٍ؛ فإنك تؤجر فيها حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك**». ويُشجِّعه على التلطُّف في تأنيبها: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة**». ويُشجِّعه على التقليل من الزوجات والتركيز على قيمة العدل: ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً**﴾ [النساء: ٣]. ويُشجِّع الإسلام الرجل حتى على القيام بالعلاقة الزوجية مع المرأة، ويَعِدُه بأجر عليها: «**في بُضْع أحدكم صدقة**». بل ويحرم عليه هجرها أكثر من أربعة شهور مع القَسَم ، وبدون القسم إنْ هجرها لمزاجه وهي محتاجة فهو باغٍ

معتدٍ، وقال الله: ﴿فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤].

باختصارٍ؛ حمى الدين الأسرة من طريقتين ظالمتين:

١. الإهمال الشديد: ﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء: ١٢٩].

٢. التضييق والخناق الشديد: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: ٦] مُتحدِّثًا عن التحكُّم الشديد، والتضييق على المرأة، وإيذائها بالشحِّ والعقوبات.

أما الإهمال: لا يسمح للرجل أن يكون دوره كدور الحشرات... يُلقِّح ويرحل ويبتعد ويهمل لأي عذرٍ... بل يُلزِمه الإسلام بأن يقوم بأدواره وجوبًا؛ قال الله: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤]. و(قوام) صيغة مبالغة تدل على الاستمرار،قوّام لا جلّاس لإلقاء الأوامر فقط ، فهو رجل مسؤول يتمتع بالالتزام تجاه أسرته يقوم للعمل يقوم لتلبية الطلبات يقوم بالحقوق . ثم لا يسمح الإسلام للرجل أن يعطي المال عن بُعْدٍ ويرحل مثلًا، فيحرم هجر مَضجَعها بدون عذرٍ، ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]. العِشْرة لا يوصف بها شخص لا يدخل منزله إلا للنوم والهاتف.. أليس كذلك؟!!

وأما التضييق: فلا يسمح له أن يمسكها كما يمسك الوحش فريسته، ويحاصرها، ويضربها، ويُضيِّق عليها، ويخنقها بتجسُّسه ومراقبته ومحاسبته، فشرط الإمساك ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

تلك الجاهلية بشِقَّيها: (الإهمال أو التضييق)... يختارها الرجل بحسب ما يناسب شخصيته غالبًا، القادر على جذب النساء والأصدقاء يهمل، والعاجز يضيق ويحاصر... فهو لا يملك فريسةً أخرى.

نأتي للمرأة؛ نجد كذلك أن الإسلام أراد من المرأة أن تجعل قيمة مشاعر الإنسان أهم من المادة؛ لذلك هدَّدها في التساهل في حق أسرتها والتلاعب بمصيرها لمجرد نيل الدنيا، فنجد الرسول يهددها بقوله: «**أيما امرأة سألت زوجها طلاقًا من غير بأسٍ؛ فحرام عليها رائحة الجنة**».

وكما هدَّد الرجل إن لم ينفق على الأولاد، هدَّدهنَّ إن لم يُرضعْنَ أطفالهنَّ بدون سببٍ،

ففي الحديث: «**ثم انْطَلِقَ بي، فإذا أنا بنساءٍ تَنْهَشُ ثُدِيَّهُنَّ الحيَّاتُ، قلتُ: ما بالُ هؤلاءِ؟ قالَ: هؤلاءِ يَمْنَعْنَ أولادَهُنَّ أَلْبَانَهُنَّ...**». ونجد أنه منعها الإساءة للزوج، وأن تحبط كل إنجازاته، وكأنه لا قيمة له: «**إِيَّاكُنَّ وَكُفْرَانَ المُنْعَمِينَ**». وعلى العكس من ذلك كل ما يخدم الإنسانية والأفراد في الأسرة يَعِدُها بالأجر عليه.

ويُقدِّر دورها في الأسرة أيَّما تقديرٍ، فيخبرها أنها تؤجر على إظهار أنوثتها وإغرائها لزوجها بأجر يعدل الجهاد لحماية الدين عند الرجال: «**وجهادُ المرأةِ حُسنُ التَّبَعُّلِ لزوجِها**». وأنها لو استطاعت أن ترضيه دون أن تعصي الله بل يرضى عن اهتمامها ولطفها وعنايتها بأطفالها فماتت... دخلت الجنة.

وأُنَبِّه إلى أن بعض الرجال يرضيه الظلم، يرضيه أن يصرخ فتقول الزوجة: حاضر.. أو يضربها ثم لا تشتكي حتى إلى الله، بل تبتسم وتشكره على ضربه، يرضيه أن يأخذ مالها ويتجسَّس على صديقاتها بسؤالها عن تفاصيل حياتهن ، وتشاركه التدخين وتجلس مع ضيوفه الرجال.. هذا رضاه لا يُدخِل الجنة. لهذا أقول: ترضيه فيما يُرضِي الله... فقط يُرضي الله.

يَرضَى الله بالعدل والإحسان وأن تجتهد بالإنفاق العاطفي، ولا تجد الرسول يحثها على شيء كالإنفاق العاطفي: «**خَيْرُ نِسَائِكُمُ الوَدُودُ الوَلُودُ، المُوَاتِيَةُ، المُوَاسِيَةُ، إِذَا اتَّقَيْنَ اللَّهَ**».

كل هذا يدلك على قيمة كبيرة للإنسان، لا يريد الله أن يعاني البشر الإهمال في أُسَرهم.. وأن يفضل الناس الأموال على الأطفال والانشغال بسرقة اللذات المحرمة من الخارج، بينما لا يزرعون في أرضهم الحب الحلال الذي يستظلون به ويبارك لهم فيه، ولا يدمنوا تمثيل الأخلاق في الخارج مع فشل حقيقي في الداخل.. ولا يملؤون حياة الآخرين بتأثيرهم، بينما هم لا أثر لهم في بيوتهم، ولا يستطيعون حل مشاكلهم.

البيوت لدينا في الإسلام مدرسة حقيقية، لكن الأكثر كالأطفال الكسالى يهرب من المدرسة والتعليم.. ويذهب ليثبت نفسه بسيجارةٍ خارج سور المدرسة أو تثبت نفسها بغرةٍ مكشوفةٍ وكعب طقطاق وراء ساحة الدراسة. وبعضهم يظل في المدرسة... ولكنه طالب

مشاغب يصبُّ كراهيته للدراسة على مَن حوله، ويعطل عليهم فرصة التعليم والتطور.

قواعد الجاهلية مقابل الإسلام:

ميزة الإسلام في تنظيم علاقة المرأة بالرجل هي قانون الحقوق والواجبات... ذلك الفرق الأهم بين الجاهلية والإسلام.

كل بيتٍ لا يكون فيه للمرأة مثل الذي عليها، ولا يكون فيه للرجل مثل الذي عليه... بيت جاهلي، ولو عاش ومات في الإسلام وصلى أهله وأكثروا الصيام والقيام.

قواعد الجاهلية:

- إمساكٌ بإكراه: (تكرهكَ... ولكنك تُعلِّقها بورقة أخذ الأطفال، يكرهكِ... ولكنك تضغطين عليه بالمحاكم والأطفال).
- إمساكٌ بإذلال: (تمسُكها وتسيء إليها وتصرخ فيها وتُعيِّرها بكل عيوبها، تمسكينه وتُعيِّرينه وتقارنينه بنجاحات غيره ليرضيك).
- إمساكٌ بإهمال: (يمسكها ولا يتكلم معها، ولا يسأل عما فعلت، وعما يؤلمها أو يشغلها، يسأل فقط عن طبخها لأنه جائع... وهي تتركه ينام ولا تسأله إنْ كانت له رغبة بها، أو حاجة لتدليلك، أو حتى مسح للرأس، تهتم فقط أن لا ينفق ماله على غيرها، لكنها لا تهتم به شخصيًّا وبمشاعره ورغباته...).
- إمساكٌ باستغلالٍ: (يثبت لأهله أنه البار بإجبارها على خدمتهم كلهم، يثبت لأصدقائه أنه كريم بطبخها وإشغالها بالأصناف والأشكال... تثبت لصديقاتها به أنها محبوبة مرغوبة، وطلباتها مجابة، وأنها تلبس بماله أفضل منهنَّ...).

وزِدْ ما شئتَ مما نراه اليوم في زمان الجاهلية الثانية... وكان في الجاهلية الأولى.

أما في الإسلام فتعريف الزواج لمن فقه هو التالي : عقد بين طرفين يعطي كل منهما للآخر حظه من الدنيا الفانية ويحسن له بأداء أدواره، ليأخذ أجره من الله ، ومن يبخل فإنما يبخل على نفسه .

حسنًا، إذا اكتشفت أنك تعيش بقوانين الأسرة الجاهلية مع كونك مسلمًا.. ماذا تفعل؟؟

هنا نقول لك: عليك أن تستعين بشخص من الخارج، ليس من الأهل ولا الأقرباء في زماننا.. لأنك في الأغلب ستجد الجاهلية غالبة على البيوت، فكيف تستعين بجاهلي؟! وكذلك لا تستعن بأيِّ مفتٍ شرعي فحسب، المفتي سيخبرك أن زوجتك عاصية حين تصرخ بك وحين تبذر مالك مثلًا.. هذا دوره أن يخبرك أن زوجتك تتعامل معك بجاهليةٍ... وقد يأمرك بالصبر على جاهليتها.. ولكنك بفطرتك لن تصبر طويلًا، جُبِلتَ على حب المعروف الذي أمر به الإسلام... على حب العدل والإحسان.

وكيف ستفعل بعدها؟ كيف ستهدي قلب زوجتك لطاعة الله والاهتمام بك؟ هذا لا يعرفه المفتي إنْ كان تخصُّصه لا يتطرق لهذا...

وكذلك في حال الزوجة سيُخبِرها المفتي أن زوجها ظالم ومخطئ حين أخذ ذهبها وضربها، وأنه جاهلي، وأن تصبر.. وسيحدث ما حدث مع الرجل، ستصبر قليلًا، ثم تنفجر ويسوء خُلُقها، وتُضيِّع الإسلام... أي: العدل والإحسان والمعروف.

إذن لمن تذهب؟ تذهب لأطباء القلوب في زماننا... مَن هم أطباء القلوب؟ المستشارون الأُسَريون (المسلمون)، وأخصائيو علم النفس (الملتزمون)... نعم الشرط أن يكونوا ملتزمين بالعقيدة الإسلامية.

يظلم الناس هذا العلم بسبب جهل بعض المنتسبين له من الغرب... من ظن أن علم النفس هو ما جاء به (فرويد) الجاهل الذي يحدثنا عن الهدف من الخلق بمنظوره التافه المنحط الذي ردَّ عليه علم النفس الحقيقي... فهو فعليًّا لا يعرف علم النفس. مصطفى محمود -رحمه الله- كتب كتاب «علم النفس القرآني»، ورَدَّ على السفيه (فرويد) ومَن شابهه بكلِّ اقتدارٍ.

سألخص لك علم النفس كما لخصه مصطفى محمود.. في ثلاث نقاط:

١. الاعتراف بأنَّ لديَّ أخطاء ومعرفتها بالتحديد (أبوء بذنبي).

٢. الاستعانة بالله لكي يعينني الله على تغييرها، ونسف نظرية الجينات والطبع الذي لا يتغيَّر، وجملة "أنا هكذا، ولا يمكنني تبديل نفسي"... بل الإسلام يخبرك أن كل خطأ قابل للتصليح مع الاستعانة بالله، كما قال عمر: «اللَّهُمَّ؛ إني شديد فلَيِّني». والاستعانة هنا لا تكون بالدعاء فقط، بل بتعلُّم ما جاء أصلًا من علوم تخصُّ علاج ذلك العيب. فمثلًا: اعترف شخص أنه غضوب، ثم دعا الله أن يُسكِّن غضبه فقط، لا يُعَدُّ هذا علاجًا. فالعلاج أولًا معرفي يكون بتقديم معلومات، فتأتي بكتبٍ تتحدث عن الغضب، وكيف علمنا الله ورسوله كَبْت الغضب، وكيف يؤثر الغضب صحيًّا علينا وغير ذلك؛ لأتمكن من التوبة والندم، ومعرفة الصحيح الذي عليَّ فعله.

٣. مقاومة النفس حتى تتغيَّر، وأجاهدها بأسلوب القليل الدائم؛ لتدريبها على الصواب.

هذا ملخص للذي عليك فعله في نفسك، ولكن أيضًا علم النفس سيُخبِرك كيف تؤثر على غيرك، سيخبرونك بالاحتياجات النفسية التي متى ما نالها الإنسان بدأ يتخلص من الكِبْر، الذي هو العقبة التي تَحُول بين الناس وبين النقطة الأولى من علاج أنفسهم، لا أحد يعترف بخطئه أمام إنسانٍ ناقدٍ مُهِينٍ؛ لذلك ستتعلم أكثر كيف تُليِّن طباع مَن أمامك بحُسْن الخلق والرِّفْق ليتمكَّن من التغيير، وتذهب الحواجز النفسية له.

ستتعلم ما الذي ستعطيه بالضبط؛ لأنك قد تكون تعطي ما لا يحتاج الآخر، أو ما لا يؤثر في قلبه ولا يكون مفتاحًا له.

وقد دعا رسول الله ﷺ لمن يكون مفتاحًا للقلوب... قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلخَيْرِ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ**».

فافتحي قلبكِ بالعلم وقلب شريككِ.. تخلصي من كراهيتك للطرف الآخر.. قدِّري وجوده، أمسكي بيده، ساعديه على حبِّ وظيفته وحبِّ ربِّه؛ ليحاول أن يعدل أخلاقه ونفسه ليقدمها بين يدي الله..

هذا بيان خلاصة حدود الإسلام باختصار أتمنى أن لا يكون مُخِلًّا، ولكني إنْ طوَّلت مَلَلتُم.. فاللّٰهُمَّ؛ اقبل منا هذا الجهد... واجعله سببًا في عودة ما أمرتَ به (العدل والإحسان)؛ فلعل زوجة تكفُّ عن ظلمها لزوجها واحتقاره، وزوجًا يكفُّ كذلك.. ونحيا جميعًا في نعيم الإسلام؛ لننال الحياة الطيبة، بإذن الله.

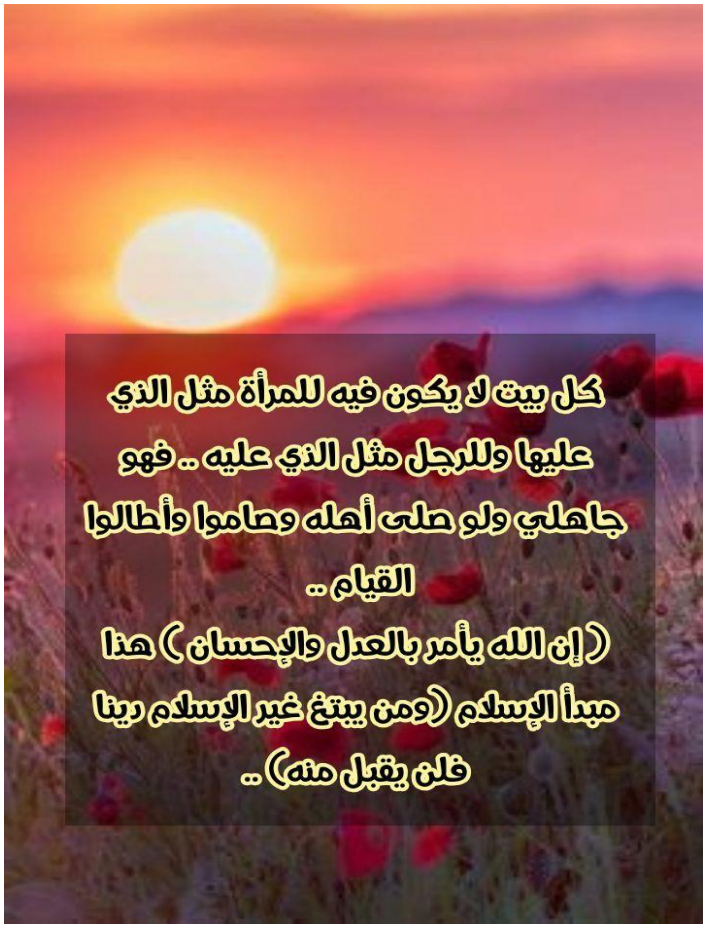

٩. ملخص دورة (قصة الكراهية بين الرجل والمرأة)

مقدمات مهمة

١. تقرير أن الدين سبب مهم في كوننا حصلنا على ما نحتاجه في أُسَرنا، ولولاه لما اهتم أحدٌ برعايتنا؛ لذلك ليس لدينا سوى خيارين: العودة لتطبيق وتوسيع الدين، أو تحمُّل الكراهية التي ستسود سلسلة من المخاطر: (هتك، تشرد، تحوُّل جنسي، أمراض الكراهية).

٢. الزوجية سُنَّة كونية ونظام شامل لكل المخلوقات، بها يحصل الخلق الجديد والمواد والكائنات، فسبب الزوجية التكاثر، واستمرار الخلق.

٣. كل الأزواج في غير البشر تختلف وظائفهم عن بعضهم البعض، وقد يختلفان في الشكل أيضًا، أما البشر فتميَّزوا عن تلك المخلوقات بأطول مدة طفولة، وهذا يزيد حاجة الأُسَر للزوجين معًا.

٤. الدراسات أثبتت اختلاف الأنماط البشرية عن الذكر اختلافًا كبيرًا يشمل كلَّ خلية. بهذا يتضح أنهما مخلوقانِ لمهمات مختلفة، والإسلام حرص على إبقاء الاختلاف في المهمات، ولكنه وحَّد الهدف، فقَلَّ التنازع والشجار.

٥. المساواة في المهام أصلها الجهل بأهمية كل مهمةٍ للبشر ونموهم النفسي السوي، لا يمكن المساواة بين الشمس والقمر، لكن يمكن التحدث عن فوائد وجود كلٍّ منهما، وشكر الله عليه؛ لذلك كانت المساواة في الاحترام والتقدير والحقوق والجزاء، وليست في المهمات.

أدوار الذَّكر... بناء حصن الزوجية

للرجل خمسة أدوار أساسية في بناء حصن الزوجية:

١. اختيار الزوجة الصالحة.
٢. وضع أهداف واضحة للأسرة؛ لتوجيه مسار الحياة المشتركة.
٣. الإنفاق المالي الكريم المتزن، الذي يُحقِّق أهداف الأسرة.
٤. صناعة الحَسَب والمكانة الاجتماعية والأمان في الخارج.
٥. دعم الزوجة والأطفال؛ ليشعرا بالأمان لوجوده قَدْر الإمكان.

بهذا يكون القوام الذي صنع حصنًا آمنًا؛ فالآباء أمانٌ.

أدوار الأنثى... بناء سَكَن في الحصن

للمرأة خمسة أدوار أساسية في بناء سَكَن هادئ داخل الحصن:

١. اختيار الزوج الصالح.
٢. الإنفاق العاطفي؛ بالكلمة، واللمسة، والحنان، والود للجميع.
٣. تدريب الصغار على العناية بالنفس والمسؤولية.
٤. تدريب الأطفال الصغار على الأخلاق؛ أي: استعمال اللغة الصحيحة للتعبير عن مشاعرهم.
٥. الخازن الأمين للمال والأسرار.

بهذا تكون قد صنعت السكن الهادئ، فالأمهات حنانٌ.

علاقة الذكر بالأنثى في نطاق الأسرة امتحانٌ من الله، كلا الزوجين فيه عبدٌ لله، لا هو يستكبر عليها، ولا هي تستكبر عليه، يراقب الله تصرفاتهما، وسيجازي كلًّا منهما على ذرة الظلم وذرة الإحسان. عليهما تقديم أفضل سيرةٍ حسنةٍ مُحصِنين ومتكاملين داخل البيت؛ فخيركم خيركم لأهله.

١٠. أسئلة بعض المشاركات في الدورة

السؤال الأول: زوجة تزوجت بالإجبار وهي ثيِّب، والإسلام نهى عن إجبارها. فقامت بإيذاء زوجها وظلمه حتى طلقها. وهي الآن نادمة، وتريد أن تعرف كيف تتوب من ذنبها وتُصحِّح حياتها.

الجواب:

بسم الله. أختي الفاضلة، لنفهم الأمر من منظور أعمق. عندما عصى الرماة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في غزوة أُحُدٍ، تعرَّضوا لضرر كبير، وهذا علَّمهم أهمية طاعة الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ. تخيَّلي لو أن أمورك سارت على خيرٍ بعد زواجك بالإجبار، ولم تحدث خلافات أو طلاق... لربما قال الناس: (ما قيمة كلام رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؟ ها نحن نجبرهنَّ على الزواج وكل الأمور تسير كما نشاء وأفضل من طاعة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ).

إن الله -سبحانه وتعالى- لا يرتب الأقدار لتناسب حياة شخص بعينه، بل خلق السموات والأرض بالحق... ما يحدث فيهما من أقدارٍ سببه أن يدل الناس على الحقِّ أو يدلهم أنهم على باطل... إنها علامة لكي لا يضل الناس.

قال تعالى: **﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾** [الليل: ٥-١٠].

لماذا؟ لكي تكون علامة للإنسان هل هو على الحق أو على الباطل. ليس الهدف من البلاء أن الله يكره هذا الإنسان بعينه ويريده أن يتألم، بل يريد منه أن يستيقظ ويعود ويتعلَّم. (ليس الهدف من البلاء أن نتألم، بل أن نتعلَّم) احفظيها قاعدةً ورسِّخيها، ثم افهمي لماذا يطلب الله منا ألا نأسى على ما فات؛ لأنَّ الوقوع في حفرة الحزن والأسى يفرح الشيطان، ويُضيِّع الهدف الحقيقي للبلاء.

قصتك التي ذكرتِهَا، أظنها لو حدثت مع شخص في الغرب؛ لألَّف كتابًا ليحذر غيره من أخطائه وأخطاء الآباء والأزواج. هكذا سيصبح في نظر الغير حكيمًا، وستكون تجربته مفيدة لسكان الكوكب. ولربما سمَّى الكتاب (ظلمتُ ولكنني تعلمت).

أسلوبك في الكتابة جيد، أظنك لو حاولت الكتابة لنجحت. لكننا نخاف النقد؛ كما نخاف الموت؛ لكثرة الهَمْز واللَّمْز في مجتمعاتنا، ونُفضِّل التباهي بصوابنا على التفكير بنفع الغير من أخطائنا، متناسين أننا كلنا خطاؤون، وأن رسول الله أصدق من الذين يُوهِموننا أنهم كاملون لا يخطئون، وأنهم فوق الخطأ. وهذا الذي يجعل الحق ملتبسًا بالباطل في زماننا.

نعود لك الآن... تخيَّلي أن القصة التي جَرَت لك... جرت لصحابيةٍ قبل الإسلام، أو لملحدةٍ في بلاد الغرب، ظلمت وظلمت.. لأن الحياة الجاهلية هكذا، ظُلْم وظُلُمات. ثم جاء الإسلام والرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ودعا الصحابية للإسلام، عبادة الله بتحقيق (العدل والإحسان)، وأن تبدأ حياة جديدة بميزان جديد، تعيش فيه بحُسْن الخلق، ولا تظلم أحدًا، خصوصًا أطفالها، وتتقرب لله وتحسن وتتغيَّر وتكون ودودة لطيفة... تتكلم بالكلمة الطيبة، وفي نفس الوقت تبدأ تدفع ظلم غيرها عنها، ولكن بالتي هي أحسن.

بإمكانها أن ترفض وتظل تندب حظها وبيئتها وأهلها، وتغرق في حزنها وحسدها، وخوفها من دفع الظلم عنها، وكبرها عن الاعتذار لمن ظَلَمتهم أو رَدّ حقوقهم.. وتخسر الدنيا والآخرة، وتكون حطب جهنم.

وبإمكانها الاستسلام لله وقبول هدايته، والبدء بتسخير العمر له... للتعلم والعمل الصالح والكلمة الطيبة والخير، وتتعوَّض عن كل خساراتها بالآخرة. وهذا ما فعلته الصحابيات -رضي الله عنهنَّ-.

هكذا أنتِ أيضًا لا تتمسكي بالماضي الجاهلي... وابدئي حياة جديدة. زوجك الذي ظلمتِه لم يَعُدْ بإمكانكِ الاعتذار له الآن، ولكن ادْعِي له بالسعادة والتوفيق، وتَصَدَّقي عنه أحيانًا، ونيتك أن يأخذ منك نفعًا في الدنيا، بدلًا من أخذ حسناتك يوم القيامة. والله عفوٌّ وتوابٌ، لن يخذلك إنْ أصلحتِ نفسك فعلًا.

ابدئي رحلة جديدة، ادخلي فيها طلب تعلُّم دينك. مثلًا ادرسي الأربعين النووية من جديد، تفسير القرآن، أسماء الله الحسنى. ابحثي عن الأيتام والأطفال والمسنين، وأَرِي الله منك الحنان والرحمة عليهم... فهو يرحم الرحماء.

لن تتوقف الحياة بذهاب أحدٍ.. وليس عليك محاولة استرجاع زوج، أو الزواج من جديدٍ. مريم -عليها السلام- سيدة عظيمة في ديننا، وليس لها زوج. تخيَّلي نفسك هي، واسمعي نداء الله لها: (اقنتي، واركعي)، واعتبريه لكِ وطبِّقيه. عائشة -رضي الله عنها- عاشت مع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ تسع سنوات فقط، وعاشت بعده أكثر من أربعين عامًا بدون زوجٍ.. لكنها كانت أمًّا معلمة تعمل وظائف الأنثى كلها، تُعلِّم وتُعلِّم وتُعلِّم الأخلاق والأدب والرحمة.. أنفقت علمها كله على الأُمَّة... ولازلنا ننهل من خيرها.

بعض علمائنا العظماء لم يتزوجوا أيضًا مثل: ابن تيمية والطبري والنووي. انشغلي بالعلم لعلكِ تصبحين عالمة معلمة، وتتزوجي أحدهم بفضل الله في الجنة. ابدئي صفحة جديدة.. مات عصر الجاهلية فيكِ... وبدأ عصر الإسلام.

وفقكِ الله ورضي عنكِ أختي.. وأدخلكِ برحمته مع القوم الصالحين.. والحمد لله رب العالمين.

السؤال الثاني: زوجة تزوجت رجلًا من جنسيةٍ أخرى مختلفة عنها، بينهما مشاكل، ملخصها: صعوبة التواصل بسبب فرق اللغة، هي مُنظَّمة وهو فوضوي، وهذا يُحدِث خلافات بين الحين والآخر، قد تصل للضرب، وبعدها يعتذر، ويُعبِّر عن حبه. هي ترى أنه يحتاج الكثير ليتعلمه؛ لأنه لا يعرف اللغة، يسهر كثيرًا مع أصدقائه ولا يعود باكرًا.. تقول له كلامًا جارحًا أحيانًا مثل: (أنت كاذب مخادع)، لديه شكٌّ أحيانًا... يقل الشك عندما تهتم به.. يتحسن كلما طال الزواج، ولكنه يتحسن ببطءٍ، وهذا يرهقها. وتسأل: هل الزواج قَدَرٌ ونصيب أم شيء سنحاسب عليه؟

الجواب:

بسم الله. ما تقولينه هو الذي حاولنا في هذه الدورة توضيحه... أن الزواج في الإسلام

اختيار. الزواج عند المسيحيين عقد من الله لا يمكن فكُّه كما في إنجيل متى: (إِذَنْ لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ، بل جسدٌ واحدٌ. فالَّذي جمَعهُ اللهُ لا يُفرِّقْهُ إنسانٌ).

جاء الإسلام لغير هذا، ويقول للناس: الزواج اختيار وعليكم أن تحسنوا الاختيار، وعليكم ألا تهملوا اختيار المرأة أيضًا، ولا تكرهوها. لكن مع هذا نرى أن المجتمعات تتعامل مع الزواج حسب النظرة المسيحية لا حسب نظرة الإسلام، هذا لأن الناس لا يدرسون القرآن والسُّنَّة بشكلٍ جيدٍ، ويتعاملون مع الطلاق أيضًا من حسب النظرة النصرانية أنه غير مقبول، مع أن الله يقول: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٠].

إذن؛ الحق أن الزواج اختيارنا نحن، وأننا إنْ أخطأنا الاختيار حاولنا الإصلاح بوسائل القرآن، فإنْ لم يصلح الحال وعجزنا عن إيجاد العدل والإحسان نُصحِّح خطأنا، ونشكر للطرف الآخر فضله خلال السنوات التي جمعتنا به، ونتفرَّق بالإكرام والمعروف لا بالتهديد والوعيد والانتقام والكراهية. هي تَرُدُّ له مال بقَدْر المهر الذي دفعه إنْ كانت هي الراغبة بالطلاق، وهو يعطيها متاعًا إذا كان هو الراغب بالطلاق.

أما إقامة البيت على غير حدود الله (العدل والإحسان)، وما ينشأ عنه من فتنٍ وأمراضٍ نفسيةٍ للوالدين والأولاد... هذا كله سنُحاسَب عليه.

لكنني أرى حالتك لا تستحق الطلاق، فهي حالة طبيعية، يمكن إصلاحها بإذن الله، فالأصل بين الزوجين التنازع والاختلاف، قصتك تتكرَّر في كل بيتٍ وفي كل زمانٍ، ولكن مع اختلاف الشخصيات. كل زواج بعد زوال هرمونات الانجذاب فيه تبدأ الطباع الأصيلة تظهر وتظهر معها الكراهية، وتدخل بين الزوجين المشاكل ومحاولات الشيطان للتفريق بينهما، عندها إما نستسلم لطاحونة الكراهية، ونبخل بالذي كنا نعطيه... هو يبخل بالإحسان المادي والدعم... وهي تبخل بالإنفاق العاطفي والحب والتلامس، ويحاول كلٌّ منهما الاستغناء عن الآخر، فيزداد العسر والعسر والعسر.

وإما أنْ نعطي رغم كل شيء ولا نتغير في أفعالنا، حتى لو تغيَّرت مشاعرنا، نظل نتصرَّف

كما كنا في البداية، ولكن هذه المرة بنية الإحسان والإخلاص لله، فالدوافع الكيميائية زالت.. عندها العسر يَخِفُّ: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٧]. مع الزمن... طباع الرجل تتهذَّب، ويبطل كيد الشيطان أمام (العدل والإحسان)... نقول: الإحسان، وليس مجرد جرعات بسيطة تمسك الرمق، لكنها لا تغني من الجوع ولا تُسبِّب الشبع.

هناك نقاط جيدة في الطرفين أنتِ وهو... وهناك نقاط تقصير في الطرفين... لهذا أرى أن هذا الزواج يجب أن نتمسك ببقائه وإصلاحه، وأن نلغي فكرة الطلاق التي تفكرين بها حاليًا. تقولين: إنك شخص مُنظَّم وهو فوضوي... بنظرك طبعًا أن الشخص المنظَّم أفضل من الفوضوي، ولهذا تحاولين تغييره... حسنًا:

أنتِ تُغيِّرينه بإظهار الكراهية لتصرفاته وإظهار عيوبه له... يقول لكِ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**الأرواح جنود مُجنَّدة، ما تناكر منها اختلف**» أي: كل إنسان يتبع أسلوب الإنكار لتصرفات مَن حوله ممن يختلف معهم. وقد نهى الرسولُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الرجل وهو رجل عن تغيير طباع المرأة بهذه الطريقة، مع أنها تمتلك مرونةً أكثر منه، وتكتسب عادات جديدة أسرع. فكيف بالمرأة تُغيِّر رجلًا..؟؟!!

حسنًا، لدينا طريقتان صحيحتان لإحداث التغيير:

الطريقة الأولى: أن تُكثِر المرأة الإنفاق العاطفي والحب والوُدَّ بشكل كبير، وعندما تنزعج من الرجل تحرمه تلك العواطف مؤقتًا.. دون أن تنطق بأي كلمة عن سبب غضبها. إذا كان الإنفاق العاطفي والتلامس البدني قليل وشحيح؛ فسكوت المرأة وتوقُّفها لا يؤثر على الرجل. لكن التي تُكثِر الثناء والشكر وتُكلِّم زوجها بالكثير من العاطفة، وفجأة تتوقف.. دون أن تخبره أنها غاضبة؛ تَحدُث لديه ردة فعل كالإدمان، تشبه حالة التوقف عما أَدْمَنه. هذه الطريقة أشار إليها الله بقوله تعالى عن الأنثى في قوله: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨]. لا تتحدَّث عما يُغضِبها بصراحةٍ ووضوحٍ ونقدٍ، بل تتوقَّف عن البيان والكلام، ويظل الرجل حيران يحاول إرضاءها لتعود كما كانت، عندها تُخبِره بأسلوب لطيف بأن سلوكه يزعجها. وقوة الصمت هذه أُلِّفت فيها كتبٌ، وكانت سلاح

مريم -عليها السلام- في موقفها العصيب.

الطريقة الثانية: لنفرض أنها تكره سلوكًا معينًا، ويؤثر عليها كثيرًا، ولا تستطيع الصبر عليه، كنا درسنا في دورة سابقة اسمها (التواصل والبيان)... كيف تبعث المرأة لزوجها رسالةً ليس فيها نقد، بل فيها تعريف بالذي تحتاجه بأساليب الإقناع والاحترام الصحيحة. وهذا ما قال عنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما تعارف منها ائتلف**»... فنحن نُعرِّف الآخر بالذي نحب بدون أن نواجهه بكلامٍ يكرهه؛ لأن الله لا يحب الجهر بالسوء من القول، كما ذكر في كتابه الكريم.

لذلك أظن أنك تحتاجين الاطلاع على مادة الدورة، سأرسل لك رابطها على الخاص لا العام، لتبدئي سُلَّم الارتقاء بعلاقتك الزوجية.

زوجك فيه خيرٌ ويؤمن بيوم الحساب فيندم على أخطائه، لا تتخلي عنه، خصوصًا أنه يُقدِّرك. بعد أن تتعلمي أكثر ستنجحين في إخراج الجانب المظلم من شخصيته بإذن الله وتزيدين الخير لديه. ونقطة أنك تشعرين أنك لو تزوجت من جنسيتك لكان أفضل.. أستطيع أن أجزم لك أن هذا لن يؤثر كثيرًا على حالتك خصوصًا. وأعلم كثيرات عكسك يحسدنَ التي تتزوج من جنسيات أخرى.

دائمًا تخيَّلي أن لو كنت أنتِ مكانه... كيف كنت تتمنين أن يساعدك شريكك على التطور. وتذكري: «**لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حُمْر النَّعْم**».

أخيرًا، لديكِ أطفال يحتاجون جهدك لتدريبهم على تحمُّل المسؤولية واللغة الصحيحة للتعبير عن مشاعرهم. يبدو أن هناك قصورًا في طفولتكما، فتستعملان العنف اللفظي أو الجسدي للتعبير عن الغضب. لديَّ مادة خاصة بالغضب من كتاب «طائف الشيطان».. قد تساعدكِ، كما يمكنكِ قراءة كتاب «التواصل غير العنيف مع زوجك» متوفر بعدة لغات. نريد أن تُطوِّري النسل الجديد ليصبح عالمنا أفضل، ونكون ساهمنا في تقليل الشرِّ على الأرض، فيجازينا الله بجنات النعيم.

وفَّقكِ الله وألَّف بينكِ وبين زوجكِ على الهدى.

السؤال الثالث: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أنا مقبلة على الزواج، علمًا بأني مطلقة من قبل، وتقدَّم لي شخص جيد غير متزوج، ولا فرق بيننا في العمر... شهور فقط الفارق. ما هي نصائحكم لي كي أعيش معه حياة سعيدة؟

الجواب:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

لو أعطيتكِ حظيرة حيوانات لم يسبق لكِ أَنْ رَعَيتِها ولا رَأَيتِها، وقلتُ لك: توقَّعي توقُّعًا ما تأكل وكم ستأكل، توقَّعي لوحدك الأمراض والأدوية التي قد تصاب بها، توقَّعي توقُّعًا كيفية العناية بها، ومنعتك أن تحصلي على أي معلومة سوى توقُّعاتك، ما نسبة نجاحكِ في إدارة المزرعة؟؟؟

حسنًا، تعرَّفنا في هذه الدورة أن الرجل كائن مختلف عن المرأة. فلو توقَّعت المرأة توقُّعًا كيف يفكر، وتوقعت توقُّعًا كيف يفرح، وتوقعت توقُّعًا متى يغضب وماذا يحتاج... ستُعرِّض نفسها لخطر الطلاق، أو خطر الكراهية الشديدة.

لذلك أوصيكِ بالعلم ثم العلم ثم العلم.

اشتركي بقنوات إسلامية عن العلاقات الزوجية كقنوات الأستاذ عبد الرحمن منصور وجاسم المطوع.

وكذلك اقرئي كتبًا مثل كتاب «يا ريتني عرفت من زمان» للكاتبة زينب عبد الرحمن، واطَّلعي على ملخصات كتب في الحياة الزوجية من قناة (أخضر) لملخصات الكتب.

اجعلي العلم يوميًّا مثل كوب الماء في الصباح.. مع حرصك على تعلُّم السُّنَّة والسيرة.

بدون هذا سنتخبط في الظلام، وسنعيش تجارب مؤلمة كثيرة، كان بإمكاننا تجاوزها فقط مع العلم.

وكذلك استغلي فترة الانجذاب العاطفي في زوجك الآنَ؛ لكي يسمع معك ويطَّلع وتتناقشا سويًّا فيما تسمعانِ، واختاري مقاطع قصيرة مهمة يوميًّا خلال كتب الكتاب كاملة. وراء المقطع سؤال سهل وعليه هدية منك؛ مثل كلمة حلوة أو غير ذلك. لسنا بحاجة شيء لإصلاح عالمنا كحاجتنا للعلم النافع.

وللتنبيه فقط، بما أنه غير متزوج قبلك، فانسي تجربتك الأولى تمامًا. حتى لو سألكِ بدافع الفضول في البداية، وليس في نيته شيء، لا تتحدَّثي عن الأول، لا بخير ولا بشَرٍّ. كثير من الأزواج يدخل لهم الشيطان من هذا المدخل، ويظل يُذكِّره بأنها كانت لغيرك ومع غيرك.. فينفر منها.. مع كونه تزوَّجها بمحض إرادته. وكذلك يحصل مع المرأة التي تتزوج بمتزوجٍ. لذلك أُنبِّهك إغلاقًا لباب شَرٍّ.

ووفقك الله... وأتمَّ لك زواجكِ على خيرٍ.

السؤال الرابع: كيف نعالج الخرس الزوجي للمتزوجين؟ وكيف نَقِي منه للمقبلين على الزواج؟

الجواب:

مفهوم الخرس الزوجي: معناه توقُّف الحديث بين الأزواج إلا على الضروريات والأوامر فقط، أو حتى أحيانًا توقُّف ذلك أيضًا ليحصل الهجر التام. هذا الحال هو نوع من أنواع الجاهلية التي تحدَّثنا عنها في الدورة.

وتحدث عنه الله تعالى بقوله: ﴿**وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا**﴾ [النساء: ١٢٨].

ما الذي يجري في حالة الخرس الزوجي؟

الذي يجري أن كلام المرأة يكون جارحًا، سواء بقصدٍ أو بغير قصدٍ، وكثيرًا ما يكون بغير قصدٍ. ولكن هذا ليس عذرًا، فنحن كمسلمين نعرف أن اللسان أكثر ما يَكُبُّ

الناس في النار، وعلينا أن نتكلم بعلم وحكمة وحذر.

حسنًا، قلنا: إنها تجرحه، وحين يجادلها تغلبه في الكلام؛ لأنه مثلًا لا يملك القدرة على التعبير أو النقاش أو الجدال، لديه ضعفٌ في إيجاد ردودٍ، فيُغلَب في كل مرةٍ، أو يقول الكلمة ولا يعنيها، فيُحاسَب عليها... (أنت قلت... أنت فعلت).. مع كمية الألم والخسائر التي تكبَّدها الرجل من كلامه، يفضل الصمت كعقوبةٍ ولكنه مريح له... لا يكون الرجل راضيًا عن حياته هكذا، لكنه يفضل ألا يتكلم، يشعر بالأمان هكذا، فلن يمسك أحد له زلةً، ولن يحاسب على ما قال في الدنيا.

لكي تفهمي الوضع وتشعرين بمشاعره أكثر، تخيَّلي رجلًا بخيلًا ماديًّا، كلما طلبتِ شيئًا حاسبك عليه: لماذا؟ وأين؟ وكيف؟ وعمل لك مشكلةً. مع الزمن ستُفضِّلين الموت والعيش المقتصد والجوع على طلب أدنى أيِّ أمرٍ منه... إكرامًا لنفسك... حتى لو كان لا يقصد إيذاءك ببخله، ولكن التدقيق كان طبعًا سيئًا فيه.

ولأجل ألا يحدث هذا، أنشأنا هذه الدورة لنُنبِّه المرأة على خطر بخل المرأة بالإنفاق العاطفي... وكمية الكراهية التي تحدث عندما يبخل الطرفانِ بما أوجبه الله عليهما... ولهذا في هذه الآية بالتحديد التي تحدثت عن إعراض الزوج عن زوجته ونشوزه؛ قال تعالى: ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾... نفوس شحيحة لم تبلغ الإحسان... فحدثت الكراهية.

لا مودة ولا رحمة بدون العدل والإحسان، وقيام الزوجين بواجباتهما على أكمل وجهٍ. فإذا عُرِفَ السبب بطل العجب. لذلك، قبل الزواج:

نُنبّه الفتاة كثيرًا، ونُعلِّمها أدب الكلام وجماله وعذوبته والخضوع به لزوجها وفنون الغزل.

كما نُنبِّه الرجل على الكرم والشهامة والعطاء والبذل وفنون إدخال السرور.

لكن إذا حصل النشوز بعد سِنِي الزواج، وطالت القطيعة، لا بد من مُصْلِحين خارجيين... لن تستطيع المرأة وحدها إعادة الثقة بها، ستحتاج جلسات مع مُصلِحين يُذكِّرون الطرفين بالحساب يوم القيامة، وأنَّ مخالفة الشرع وإنْ أراحت في الدنيا... إلا أنَّ حقوق الزوجين عظيمة، وسيتعبهم الحساب عليها يوم القيامة، ويضع لهم قوانين جديدة

وخطوات يبدآنِ بها من جديد.

أصلح الله ما بين الأزواج ووفَّقنا للعمل بأحكام ديننا الجميل.

السؤال الخامس: لا أعرف من أين أبدأ، لكن باختصار... إنِّي لديَّ مشكلة بالتعامل مع أولادي (جدًّا عصبية، ولا أحتويهم، ولا أتفهم مشاعرهم)... وأحيانًا كثيرة أشعر بأني أم ظالمة، ولا ألبي احتياجاتهم العاطفية، مع أني أحبهم كثيرًا، ولو غابوا عني ساعةً أموت شوقًا إليهم. أحيانًا أضع الحق على نفسي أني لم أُنظِّم وقت الإنجاب، أنجبتهم وراء بعضٍ لا فاصل، ودائمًا أضع هذا السبب شماعةً بتقصيري معهم، وأيضًا اكتسبوا مني صفة العصبية والشتم. عندما يحصل بينهم خلاف يشتمون بعضًا. وبالمناسبة أنا أتابع البرامج التربوية، وأقرأ كثيرًا للتربويين، لكن لا أطبق شيئًا من قواعد التربية، وإنْ طبقت يومًا أو مدة... أعود بعد ذلك لسابق عهدي. لا أعرف كيف أصلح أخطائي؟ ومن أين أبدأ؟ وكيف أسير باقي العمر معهم؟ أتمنى توجيهي لوضع خطة لتربيتهم وتعويضهم عن كل الأيام القاسية التي سبَّبتُها لهم. أعتذر على الإطالة.

الجواب:

الحمد لله. عندما ذُكِرت قصة إبليس في القرآن... كان من كلامه: ﴿**قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [الإسراء: ٦٢].

دائمًا أقول للأمهات: عندما تثورين على أولادك، اعرفي أن هذه الآية تُطبَّق... وأن الشيطان يَحْتَنِكَنَّكِ، أي: يتعامل معكِ وكأنك فرس في فمها الحنك.. وهو يقودك الآن. **لماذا؟** لأنه يكره أطفالكِ الذين كرَّمهم الله، ولا يستطيع هو إهانتهم بنفسه، فيفرح أن يرى أقرب الناس لهم تهينهم، وأهم شخص في حياتهم تُذِلهم... فكوني من القليل الذين لا يقبلون ذلك الحنك. ويبدؤون بفكِّه، **كيف؟** ليس مرة واحدة، يحتاج الأمر تدريبًا.

باختصار، لن نبدأ من فكرة (لن أغضب بعد اليوم)، سنبدأ من فكرة (سأتوب مباشرة كلما غضبت)... هذا أسهل. يعني: أنتِ وأم أخرى تضرب هي خمسة وأنتِ عشرةً يوميًّا على سبيل المثال.. لكن هي لا تتوب ولا تعتذر لأطفالها، وأنتِ تتوبين وتقولين لأطفالك: (هذا

ذنب، أنا آسفة، سامحوني، استغفروا لي.. لم يسمح لي الله أن أعاملكم هكذا، الله يحبكم وطلب منا الإحسان).. وعوِّضيهم بحضنٍ وقبلةٍ.

أنتِ أفضل عند الله من التي تضرب خمسة، **لماذا؟** لأنكِ توابة، والله يحب التوابين.

خوِّفي نفسكِ من يوم الحساب دائمًا. لا تظلي مطمئنةً بأنَّ الله يسامحك لأنهم أطفالك!! على العكس.. أن تغضبي على الناس في الخارج أهون من أن تغضبي طوال الوقت على من أمرك الله برحمتهم، وهم أشد مَن يحتاجك. وكذلك الإحسان لهم أعظم من الإحسان لكل أحدٍ.

وخطوات تعديل الغضب شرحتها مفصَّلة في دورة (طائف الشيطان)... لعل قراءتها كاملة أفضل من اختصارها.. سأرسله لكِ على الخاص. سأرسل لكِ على الخاص كتاب (يوم في حياة ملكة) أيضًا... لتحصلي على بعض الأفكار لتنظيم بيتك وأطفالك.. فلعله من حسن الحظ أني كتبته في ظروفٍ مشابهةٍ لظروفك لأنظم حياتي أنا مع الأطفال وأعيش معهم أفضل طريقة ممكنة.

وفَّقكِ الله لأداء مهمتك العظيمة كأمٍّ.. ولا مكَّن الشيطان من إفساد تلك المهمة.

السؤال السادس: زوجة تركت الدراسة لأجل الزواج صُدِمت بكمية قسوة وعنف الشاب الذي تزوجته، فأصابها صدمة جعلت حياتهم شبه صامتة، ومن جديد عرفت أنه يخطط للزواج من أخرى... هي تشعر بجرح كبير، ولا تفهم كيف يفكر، ولا ماذا يريد، ولا كيف يهتم بها ويلبي احتياجاتها... هي تشعر أنها بحاجته ومتعلقة به، ولكنه جرحها كثيرًا، وجعلها محتارة.

الجواب:

الحمد لله.. أُواسي قلبك الجريح، وأعلم كم هو مؤلم أن تترك الفتاة ما تحب.. وكم تكون بحاجةٍ لرجل شهم يحميها ويشعرها بالأمان لا الخوف، ثم تصبح في رعب دائم لا تدري ما الذي يريده وكيف ترضيه وهو لا يرضى.

ولكن سأعطيكِ أمورًا للتفكير بها:

هل هو سيئ الأخلاق هكذا مع أكثر المقربين له... أم معكِ وحدك؟

هل ظهرت علامات سوء الخُلُق هذه بأول الزواج... أم بعد مدة عامين، ثلاثة، أكثر، أقل؟ فربما يمكننا القول: إن هناك أمورًا حدثت منكِ... لم تنتبهي لها... ربما غيَّرته.

هذه أخلاقه فكيف دينه؟؟ هل هو على درجةٍ من الإيمان والعبادات، أم يجمع مع سوء الخُلُق انعدام الدين!!!

إنْ كان مع أكثر المقربين هكذا (أخواته مثلًا، أصدقائه، والديه) حين يغضب منهم يكون سيئًا معهم..

وإنْ كان معكِ وحدك... ولكن ظهرت علامات سوء خُلُقه من أول الزواج.. ولا تجدين في عائلته مَن يلومه ويعاتبه... بل وجدتِهم يرون ما يفعله طبيعيًّا..

فإذن؛ أستطيع أن أقول لكِ: إن الاختيار سيئ تمامًا منذ البداية، وأن سوء الخُلُق الكثير الشديد، مع عدم الاعتذار بعده، أو محاولة الإصلاح... تدل على شخصية لم تجمع الخُلُق والدين. ولا زال بإمكانك التفاهم معه على الانفصال بالتي هي أحسن، وتدعينه يتزوج الأخرى، وترين طريقك في الحياة... أظن هذا أفضل لنمط شخصيتك الحساس.

لكن إنْ كنتِ تجدين أن الفراق مستحيل.. وتريدين البقاء، لا أضمن لكِ أن تصلي لنتيجةٍ ممتازةٍ معه، لكن ببعض التعلُّم والقوة والمساعدة من الأهل والتدرُّب على الذكاء العاطفي قد تتمكنين من منع أذاه قليلًا عنكِ، فلن يصبح الشخص الشديد رقيقًا للدرجة التي تناسب نمط شخصيتك.

نجد عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الفاروق كان في الجاهلية شديدًا جدًّا، ولكنه لم يتحوَّل بعد الإسلام إلى رقَّة أبي بكر، ولكنه بسبب الإيمان بات لا يضرب ولا يظلم ويتساهل أكثر مع زوجته، ونحن نُقدِّر هذا التحوُّل الكبير له. فأنْ تكون في القاع ثم تصعد للسطح (٥٠) مترًا... ستكون أفضل عند الله مِن الذي كان على السطح وصعد للسماء مترين فقط. نجاحك في كبح نفسك عن الشرِّ لأجل الله... هذا ما نريده من بعض الشخصيات. عليكِ أن تعرفي

أننا لا نكلف الناس تغيُّرات فوق طاقتهم.. فالطباع تؤخذ بعين الاعتبار والتزكية للنفس تحتاج وقتًا وجهدًا. أريد أن تفهمي هذا؛ لتعلمي منذ البداية ما الذي تريدينه وإلى أين ستصلين، ولا تعيشين في الوهم.

حسنًا، هكذا فكَّرنا بصوتٍ مسموعٍ؛ لأن الذين في مثل حالتك عادةً يضعون كل اللوم على أنفسهم، ويصبح همهم رضا إنسانٍ لا يرضى.. مع أنهم لم يكونوا موجودين عندما نشأ في بيته وتربَّى على العنف والأذى، هذه أخلاق تنشئة، ليس كل زوجة تعنف وتضرب تكون هي السبب.. بل للتربية الجاهلة وقلة الإيمان بيوم حساب سبب كبير جدًّا فيما يجري.

ختامًا، سأرسل لكِ كتاب «غيرتي غيَّرتني».. لتُجرِي طريقة عائشة أم المؤمنين في تحويل غيرتها التي كادت تتسبب في طلاقها... لولا أن ابتكرت أساليب صحيحة، جعلتها أحب زوجات الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إليه. وكما قلتُ: ركِّزي أنَّ هذا ليس بالضرورة سيجعلك الأحب لقلب زوجك.. أو يجعله يُنهِي فكرة الزواج، ولكنه سيجعلكِ تشعرين بالرضا عن نفسكِ على الأقل... أنكِ حاولتِ وفعلتِ كل ما بوسعك.

وفَّقكِ الله وهدى زوجك للطيب من القول، وهداه للعدل والإحسان، وجعله قرة عين لكِ... اللَّهُمَّ آمين.

السؤال السابع: السلام عليكم، أنا وزوجي نعيش حياة مستقرة ظاهريًّا.. لكن من جديد شعرت أن علاقتي معه قائمة على الخوف أو على لوم ذاتي؛ لأنه لا يتقبل قول (لا)، ولا مخالفة رأيه. دائمًا عندما يسألني أي سؤال (مِن أبسط شيء مثل: أي مطعم نأكل أو شيء كبير).. نادرًا ما أفكر ماذا أريد وماذا أحتاج.. دائمًا أفكر ماذا يريد هو، كيف ستكون ردة فعله على اختياري، وأُجيبه بناءً على هذا. أيضًا.. عندما ينزعج من أي تصرف مني (أغلب الأحيان يكون شيئًا عفويًّا، ولا أقصده ولا أعرف أنه سيزعجه)... لا يعبر عما أغضبه، ويقطع التواصل نهائيًّا مدة قد تطول إلى أسبوع أو أسبوعين.. ولا ينهيها إلا عندما أبدأ أنا بالحديث. وفي هذه المدة لا أكون على معرفة بالسبب الذي أغضبه، وألوم

نفسي على كل تصرفاتي، وفي المرات القليلة التي تناقشنا، يكون السبب شيئًا مبهمًا أستنتجه من تصرُّفي وأعتقد منه كما يريد، ولا يكون تصرفي بحدِّ ذاته (سوء ظنٍّ). وفي غالب المرات؛ لا يقبل النقاش أبدًا، أو الإفصاح عن السبب، ولا الحديث عن أي شيء يتعلق بتصرفي أو غضبه.. وإذا تكرر التصرف يغضب بشدةٍ أكثر... علمًا أنه لم يخبرني بالشيء الذي أغضبه أبدًا، وعندما أناقشه يقول: هكذا أفضل أن الأمر يموت مع الوقت، وإذا ناقشناه سوف يكبر، وهو مقتنعٌ بهذه الفكرة تمامًا، مع أني أشعر بعكس ذلك.. عندما نترك الأمر للوقت يكبر في نفسي كثيرًا، وتقلُّ قيمة زوجي عندي، خصوصًا إذا أظهرت له كم أني لا أحب غضبه ومتضايقة من ذلك، وقد أعتذر وأنا لا أعرف السبب، وقد أبكي وهو لا يتأثَّر بكل هذا، فأشعر أني أهون عليه بشدةٍ لأي سبب. وفي كل المرات أنا أبدأ بالتكلم... بل محاولة التكلم مرارًا، حتى يوافق، وإنْ لم أبدأ مهما طالت المدة لا يبادر أبدًا بالكلام. وبعد كل موقف كهذا تتراجع علاقتنا من جهتي كثيرًا تلقائيًّا، وهو يستغرب... ويقول: لم أفعل شيئًا لكِ و... و...

الجواب:

وعليكم السلام، ورحمة الله، وبركاته. الحمد لله. لو قسَّمنا الناس الذين لا يرضى الله عن سلوكهم كما قسَّمهم القرآن إلى مستكبرين ومستضعفين، وفهمنا (لا إله إلا الله) التي نزلت للطرفين معًا... لتحل مشكلاتهم في الأرض... وتقيم هذه الكلمة العدل والإحسان.

(لا إله إلا الله) ستقول للمستكبر: أنتَ لستَ إلهًا، فلا تتصرف على هذه الشاكلة، ولا تشغل الناس طوال الوقت بإرضائك على هواكَ... أنت عبدٌ لله، عليك أن تُحسِن للناس.

كذلك (لا إله إلا الله) ستقول للمستضعف: انتبه، المستكبر ليس إلهًا، لا تَخَفْ منه. افعل ما أمرتُكَ به... وأَعْطِه حقَّه ولا تَزِدْ، ثم اطلب رضاي أنا وليس رضاه... أنا لا أرضى إلا بالعدل والإحسان، لا أرضى بالظلم، ولا أرضى بالذل.

إن فهمتِ هذا، فهمتِ أهمية كلمة التوحيد، وما الذي سينتج عن اعتقادها عند المستكبر والمستضعف. فهمتِ الحدَّ الذي عليكِ أن تقفي عنده لمَّا تجدي أنكِ تفعلين ما

أمر الله ولا تخطئين ولا تقصرين في حق زوجك عمدًا ولا تضيعين حقوقه، ثم زوجك لا يرضى بالذي يُرضِي الله... ولا يرضى إلا عندما يذهب العدل وتصبحين مظلومةً ويصبح هو ظالمٌ.. هكذا هو يرضى. إذًا هنا سنتوقف، لن نُرضِي إلا الله.

من الطبيعي أن الزوجة الصالحة ترضي زوجها... ولكن طريقتك في إرضائه أظنها ليست مناسبة لحالتك. لا داعي للبكاء والتوسل بهذا الشكل... خصوصًا أنكِ لا تعرفين أنكِ أخطأتِ وترين أن الأمر سوء ظن فقط، وهذا البكاء أحيانًا يعجب المستكبر. بل أَرْضِيه من اليوم بكلام لطيف.. مثلًا: (الزعل لا يليق بالحلو! معقول الرجل قوي العقل والدين ما يتحمَّل تصرفات امرأة ضعيفة طبيعي تخطئ.. ابعد يا شيطان ابعد يا شيطان عن حبيبي، لا تُضيِّع الحب والود اللي كان.. أُعِيذ الجميل الرجل النبيل من شر الشيطان الذليل). طبعًا هذا تلطيفٌ للجو وصرف للغضب.. أفضل بكثيرٍ من أسلوب البكاء الذي قد يكون أحيانًا مفيدًا عند الرجال الذين تغلب على جانبهم الرحمة بالضعيف... ولكن في غير حالتك.

اكتبي رسالةً لزوجك بأساليب البيان التي تعلَّمناها في دورة البيان. أخبريه بوضوح أن طريقته في الغضب ليست من العدل ولا الإحسان، وأن صفة عدم الحديث والخصام الطويل من صفات النساء وليس من صفات الرجال، كما قال تعالى: ﴿**أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ**﴾ [الزخرف: ١٨]. كذلك كانت تفعل زوجات النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، هنَّ اللاتي لا يُكَلِّمْنَه، قال عمر: «فَتَغَضَّبْتُ يَوْمًا عَلَى امْرَأَتِي، فَإِذَا هِيَ تُرَاجِعُنِي، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي، فَقَالَتْ: مَا تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ، فَوَاللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَتُرَاجِعُنَهُ، وَتَهْجُرُهُ إِحْدَاهُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ. قَالَ: فَانْطَلَقْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: أَتُرَاجِعِينَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، وَتَهْجُرُهُ إِحْدَانَا الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ».

أَخبِريه أنكِ تريدين الشعور بأنَّ زوجك ليس مفتعلًا للمشكلات، بل هو إنسان قادر على حلِّها كملك عادل ورجل عاقل. وأن هذا سيرفع قَدْره لديكِ، وسيرفع قَدْره عند الله. وحدِّثيه بأنَّ من سوء الخُلُق بطء الرضا وسرعة الغضب؛ كما قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ،

وأنكِ لا تحبين لزوجك أن يَلقَى الله إلا وهو من أقرب الناس مجلسًا لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولن يكون كذلك إن لم يبدأ يُدرِّب نفسه على بطء الغضب وسرعة الرضا.

قولي له: إن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أخبر أنَّ خير النساء هي التي تُرضِي زوجها قبل النوم، وتعتذر سريعًا، وتسامح سريعًا: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْوَلُودِ الْوَدُودِ، الَّتِي إِذَا ظَلَمَتْ هِيَ أَوْ ظُلِمَتْ؛ قَالَتْ: هَذِهِ يَدِي فِي يَدِكَ، لَا أَذُوقُ غَمْضًا حَتَّى تَرْضَى**». قولي له: فلإرضاء الله إنْ غضب في النهار ستُرْضِينه في الليل قبل النوم، لكن إنْ لم يَرْضَ من أول اعتذارٍ لن تُكرِّريه. إنْ لم يَرْضَ عن سلوك امرأةٍ وصفها رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأنها في الجنة لأنها لا تستكبر على زوجها وتتسامح طيبة وتعفو، فمَن هذه التي سترضيه!!!! امرأة من أهل النار!!! فلن تُكرِّري إرضاءه أبدًا بعد ذلك حتى لو غضب أشهرًا.. وسيكون الإثم عليه لا عليكِ. وربما تحتاجين عندها المصلحين كما أمر الله ليخبروه بأن عليه أن يرضى ويصلح ويؤدي حقك.

افعلي ذلك فعلًا.. إنْ فعلتِ ما يرضي الله ولم يرضَ، لا تفعلي الظلم الذي يرضيه... لأن الله لن يرضى عنكِ هكذا، ولن تكوني الزوجة الصالحة التي تساعد زوجها على ترك الكبر وتحسين الخُلُق.

ماذا تفعلين في غضبه وصمته؟ أَرْضِي الله فقط. هو إلهك وسيدك الذي إنْ رضي عنكِ أَرضَى عنكِ زوجك: ﴿**فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ...**﴾ [النساء: ٣٤]. اقنتي له وادعيه وتذلَّلي بين يديه، قولي له: (يا رب... أنت تعلم أني لا أريد أن أظلمه، ولا أريد أن أسيء له، ولكني أريد العدل والإحسان، ارضَ يا رب عني... وأَرْضِه بفضلك). اعتبريها إجازةً... انشغلي خلالها بمهمات الأنثى التي تحدَّثنا عنها في هذه الدورة: تربية أطفالك، ملاعبتهم، مُضَاحَكتهم، قصّ القصص لهم، تعليمهم سرعة الرضا وبطء الغضب... مع استمرارك بالتذلُّل لله، مع التجمل والتعطر والاهتمام بالنفس والبيت والطعام والابتسام، **لماذا؟** لأنَّ لنفسك عليكِ حقًّا... ولربك عليكِ حقًّا... ولعينك عليكِ حقًّا... ولأولادكِ حقًّا... ولأهلك حقًّا. وحين تعجزين لسببٍ ما خارج عن يدك عن أداء حق زوجكِ... فلماذا عليكِ التقصير في كل

الحقوق الأخرى؟؟؟ هذا حال كثير من النساء في المشاكل تنشغل بالهمِّ والغمِّ والبؤس، وتنسى كلَّ مَن له حق عليها..!! هل هذا يجعلكِ من المتقين؟!!

تذكَّري أنَّ الله تعالى حينما أحزنت زوجات رسولِ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الرسولَ... بسبب غَلَبة الغيرة والحب وصغت قلوبهما، لم يقل لهما: سأبدل بكنَّ زوجات باكيات خائفات صامتات لا يناقشن ولا يتكلمن.. إلخ. ليس هكذا الصلاح.. هذا ما يتمناه زوجك... ولكن الله بيَّن أن الزوجة الصالحة فعلت الكثير لكسب رضا الله قبل كل شيء: ﴿مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ﴾، ثم بعد ذلك وصف وصفًا واحدًا مما يخصُّ الرجل: ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾ [التحريم: ٥] للدلالة على أكثر ما عليها محاولة فعله لتكون صالحة... تهتم بإسعاد الرجل بالعلاقة الشخصية معها لكسب رضاه فقط.. وليس تبدأ تُحرِّم على نفسها ما أحل الله، أو تُحلِّل ما حرم الله؛ لأن بعض الحلال يكرهه زوجها، وبعض الحرام يحبه..!! هذا ليس صلاحًا.. انتبهي.

عندما تفهمين ما الذي يرضي الله عنكِ... ترتاحين؛ لأن رضا الله أسهل بكثيرٍ من إرضاء البشر، وفوق هذا لا يؤاخذنا إنْ نسينا أو أخطأنا... سبحانه ما أكرمه!!

حسنًا، فإنْ حاول زوجك الرجوع لطبيعته والتحدُّث معكِ، لِيني بسرعةٍ بدون أي صعوبة، واحتضنيه شوقًا، واشكريه، وعُودِي له كأفضل ما يتمنَّى الرجل دَلالًا وكمالًا وغزلًا.. لكي لا تأخذه العزةُ بالإثم... ويشعر أن ترك الكبر أذلَّه، بل رفعه عندكِ.

بالنسبة لأنكِ لم تعودي قادرة على التحدُّث بالذي تحبينه، ارجعي تذكَّري كل المباحات التي كنتِ تحبينها وتتمنينها... وليس فيها إثم ولا معصية (تحبين أن يُسلِّم عليكِ عند الدخول، تحبين أن يحنو على شعرك قبل العلاقة، تحبين حبة شوكولاتة في مرضك)، لا يُعَدُّ هذا تكليفًا ثقيلًا ولا سوء أدب. اكتبيها بورقةٍ لتتذكريها ولتُعرِّفيه بما تحبين مجددًا ببطء مرةً مرةً... ولا تخافي منه... تذكَّري أنه عبد ضعيف يحتاج أن يُسعدكِ ليرضى عنه الله.. وأنكِ لو تركتِ طلب المباحات منه، فهذا لو نفعه في الدنيا لن ينفعه في الآخرة، لن يكون من المحسنين. وإنْ غضب من طلبك مثلًا، قولي له: (أعلم أن طلبي غريب عليك... ولكن

إن لم أطلب من حبيبي ما أشتهي... فمِمَّن أطلب؟!! استعذ بالله من الشيطان يا زوجي... كان رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رجلًا سهلًا، إذا هويت عائشة الشيء تابعها عليه... وأنتَ تقتدي به... طبيعيٌّ أن يُحقِّق الزوج لزوجته ما تهوى... هذا إحسان والله يحب المحسنين.. أنا أحبك وأريد الله أن يحبك أيضًا.. مع الزمن ستعتاد على طلباتي المباحة فأنت رجل مؤمن تألف وتؤلف...)، ذكِّريه دائمًا بأخلاق الرسول، فهو القدوة.

وأَكْثِري كتابة الرسائل الطيبة إنْ عَجَزتِ عن التحدُّث مباشرةً، كل شهر رسالة تذكرين فيها ما تحبين في زوجك.. وتنبهينه على ما تَرَينه ظلمًا، شيء واحد فقط كل مرة... والمهم الأسلوب الصحيح، كما بيَّنا في دورة التواصل والبيان.

أما إنْ لم تكوني عالمةً بدينك وبالفرق بين الحق والباطل وشرع الله وأهواء الناس... سيقع اللوم عليكِ وعليه يوم القيامة إن حصلت الكراهية في البيت، وزال العدل والإحسان بكبره وضعفك... وتنازلكِ عن دين أنزله الله ليكرمكِ ويكرم زوجك به. إنها حياة واحدة.. إن لم نتعاون معًا على إقامة العدل والإحسان.. لقينا الله جميعًا ظالمين، وهذا ما لا نريد.

السؤال الثامن: زوجة تصف حالها بكلمة جمود عاطفي شديد.. السبب أن زوجها يتغيَّب فترات طويلة تزيد على العام، على الرغم من كونه كان يعلم شدة تعلُّقها به... وهذا العام لا يوجد تواصل منه، وكأنه ميت، حتى تعتاد على غيابه، وتميت رغبتها فيه؛ لتتأقلم، ثم يعود، فتحاول التأقلم على وجوده، واحتمال ضغط لومه لها... على أنه لا يشعر بحبها ورغبتها، ولمَّا تبدأ تعتاد يعود للغياب... وهكذا حتى فقدت مشاعرها تجاهه... تسأل ماذا تفعل؟ لا تريد أن تكون زوجة ظالمة... لكنها فعلًا لا تشعر بالأمان، ولا تشعر بالحب... ما العمل؟

الجواب:

في هذه الدورة شرحنا أدوار الرجل، وأن الرجل الذي يؤدي هذه الأدوار هو الوحيد الذي سيحصل على حب زوجته الدائم، وحين يحصل الخَلَل في الأدوار، أو يتنازع الزوجانِ عليها...

طبيعيٌّ أنْ تبدأ الكراهية.. وكذلك الزوجة.

حسنًا، هذا الرجل يخالف مفهوم القوامة، ويتعامل مع الزواج بمبدأ (الرجال زوَّارون للنساء)، يزورها كأنه ضيف ويرحل... يزور ويرحل.. وهو عندما يعود لا يُعوِّض الزوجة، بل يبدأ باللوم والعتاب والخصام؛ لأنه لا يشعر من داخله أن زوجته فرحة به حقًّا.. وعندما لا ينفع اللوم لأنه أسلوب غير صحيح... يعود للرحيل، ثم يشعر مرةً أخرى بأنه متعب من الوضع، وهكذا دائرة لن تنتهي ما لم يُقرِّر أحدكما إيقاف التوقعات المبالَغ فيها من الآخر... ووضع النقاط على الحروف.

ما الحروف أصلًا قبل النقاط؟

الحرف الأول: إيقاف التعلُّق وحب التملُّك... وإقامة العلاقة على مبدأ يتناسب مع الوضع الخاص لحياتكما.

في دورة «فتنة الناس» وضَّحنا خطورة التعلُّق في العلاقات، وأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما تَوَادَّ اثنان في الله، فيُفرَّق بينهما؛ إلا بذنب يُحدِثه أحدهما**».

وقلنا: إنَّ هذا الذنب هو التعلق المَرَضِي غالبًا. التعلُّق المَرَضِي أن أتوقع من إنسان أن يفرغ حياته لتلبية شهواتي من السمع والبصر والحب والتقدير والاهتمام والمدح والكرم والعطاء و... و... و... فلما يعجز -وطبيعيٌّ أن يعجز؛ لأنه مخلوق ضعيف، وإنسان مسكين، فقير إلى الله، ولم يُخلَق لأجل البشر أصلًا- نبدأ نُصدَم، ونجعل الآخر يشعر طوال الوقت بالتقصير، والسبب نحن.. نحن نتوقع من إنسان واحد ما لا يقدر عليه عصبةٌ أُولِي قوةٍ.

لذلك علينا أن نتوقَّف عن مطالبة الناس بمَلْء شهواتنا... والبدء مرة أخرى من جديد بعلاقة حب لله.

حب لله بين الزوجين!!!! نعم.. كيف؟

فرِّغي قلبك الآنَ من كل البشر، اعتبري أن في قلبك عدادات حب جميعها أَعِيدِيها

للصفر... أنتِ لا تحبين الآن أي مخلوق، وتحبين الله وحده.

هل هذا ما يريده الله أن لا نحب الناس؟ لا بالطبع... انتظري..

الآن ما الذي تحبينه لنفسك؟ أُحِبُّ الثناء والتقدير والمدح وبقية الاحتياجات النفسية التي قُلْنَاها في الكتاب، نعطي هذا الذي نحبه للناس حسب أهميتهم ومقدار حقهم، نعطي الزوج أعظم نصيب، ثم الوالدين، ثم الأبناء، بنِيَّةِ أن يعطيك الله ما تريدين. أنا لستُ متعلقة بالناس، ولا أنتظر منهم شيئًا لكي أُصدَم وأتألم.. الآن أبدأ برفع عدادات الناس بناء على قربهم وبُعْدهم من الله... لا بناءً على ما قدَّموه لي أنا شخصيًّا.

تذكَّري أن أكثر الصحابيات كُنَّ يَعِشْنَ في وضع قريب منكِ، ولكن ليس لأن الصحابة كانوا يهربون من مسؤولياتهم وزوجاتهم، بل لأنهم كانوا مشغولين إما بجهادٍ أو تجارةٍ أو سفرٍ... ويُؤمِّنون نفقاتهنَّ، ويؤدون أدوارهم في المجتمع..

ولو كان كلما عاد رجل وجد زوجته غاضبةً مصدومةً... كيف استطاع تفضيل التجارة عليها؟! لَمَا قام بيتٌ. لقد كانت المرأة تُقدِّر أنَّ على الرجال أدوارًا في المجتمع... وتتأقلم على الإحسان إنْ أتى... والعِفَّة إنْ ابتعد.

إنْ كانت هناك أمور تحتاجينها منه، تعوَّدي على طلبها مرة أخرى... ولا تُبقِي الحواجز على قلبك. بهذا عندما يأتي زوجك.. فكِّري كالتالي: (إنها فرصة لكسب الحسنات لنفسي).

تجاوزي عن تقصيره؛ لأن الله سيحاسبه لا أنتِ، هو يخسر منزلة الإحسان بإهماله المتعمد، لكن ركِّزي على نفسك.

قولي: (يكفي أن هذه الدنيا تعيسة، ولا أريد للآخرة أن تكون كذلك، لذلك سأُحْسِن له؛ لأنال كرامة الله في الآخرة؛ بما أنه أضعف من أن يُكرِمني في الدنيا).

عندما نعيش وعيوننا على الآخرة... ونفعل الخير لأننا نحبه لأنفسنا.. تعود لنا مشاعر الحياة، ويذوب ذلك الجليد والتبلُّد المشاعري الذي نُصَابُ به... إن بقيت الدنيا أكبر هَمِّنا

ومَبلَغ علمنا.

وفَّقكِ الله -أختي- وجمع بينكِ وبين زوجكِ فيما بقي من العمر... بدون تفرُّقٍ... على المودة والرحمة.

السؤال التاسع: متزوجة من عدة سنوات، وعشتُ في عائلةٍ لا تعرف الحنان، ولا الكلام الجميل. أخبرتُ زوجي في فترة الخطوبة عن طبيعة جوِّ عائلتنا الذي يختلف عن جوِّهم. في بداية زواجنا لم أَعِشْ مع زوجي لفترات طويلة بسبب العمل، يعني: كل شهر أو أقل أو أكثر نجتمع... عند حدوث أي خلاف أو مشكلة لا يتحدَّث معي لفترة أسبوع أو أكثر، حتى أحدثه... يعود ويكلمني أحيانًا دون أن أعرف ما سبب الزعل، لا يتكلم... وأحيانًا لا يرد على اتصالاتي. كان يتحدَّث معي كلامًا جميلًا... الآنَ لا يتحدث، وأنا في آخر فترةٍ لم أَعُدْ أُصالحه، وهو لا يكلمني إلا حين أن أُحدِّثه. مع أنه في الخارج كثير الكلام وحَنُون مع أهله، ويتحدث بالكلام الحلو. كيف عليَّ أن أتعامل معه... علمًا أني أصبحت بحالةٍ نفسيةٍ سيئةٍ؟

الجواب:

أختي الفاضلة، قد تبدو حالتك للوهلة الأولى مشابهة للحالة السابقة، وقد يظنُّ ظانٌّ أن الإجابة ستكون نفسها، ولكن الحقيقة أنَّ حالتك مختلفة تمامًا.

هل تعلمين أن زوجك خالف نصيحة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حين رَضِيَ بالزواج بعد أنْ أخبرتِهِ بجوِّ عائلتكم، ولم تُخبِريه بأنكِ ستكونين مختلفةً؟ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**تزوجوا الودود**»... ابحث عمَّن تتقن الحنان والكلام الجميل.

قد تستغربين من كلامي، لكن دائمًا عندما نقلب الأمور نفهم أكثر. تخيَّلي لو أن زوجكِ قال لكِ: (أنا من أسرةٍ... الرجال لا يقومون فيها بأدوارهم، ولا ينفقون ماليًّا، وعليكِ الإنفاق عليَّ)... لن تَقْبَلي. لقد منع رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الصحابية أن تتزوج معاوية حال فقره؛ لأنه لن يَقدِر على النفقة... هذا بالضبط ما يجري معكِ.

أسرتكِ تعيش بقوانين الجاهلية. وأنتِ أَقَمتِ بيتًا جديدًا قُلتَما للقاضي عند الزواج: إنه على كتاب الله وسُنَّة رسوله.

فهل يَقبَل منكِ أن تقولي: (أهلي يأكلون الخنزير، فسأكله في بيت زوجي)؟ (أهلي يشربون الخمر سأشربه في بيتي)؟ (أهلي يتساهلون بالأعراض سأتساهل في بيتي)؟

ما الفرق بين هذه الذنوب وذنب أن لا تقوم امرأة بوظيفة الإنفاق العاطفي والحنان، وتنشغل بأدوارٍ لم يأمرها الله بها؟

ما الفرق بيننا وبين مشركي الجاهلية إنْ أخذنا الجاهلية من آبائنا وتبرأنا منها؟

والعجيبُ أننا حين يرسل الله لنا إشارات بأننا على خطأ كما وعدنا..

وتبدأ أمورنا تتعسَّر بعد اليُسْر... والمودة تذوب بالتدريج.. كعلامة إنذارٍ.. نغرق في الأسى واللوم والاتهامات للآخر... نريد أن نُغيِّر كل شيء إلا أنفسنا.

سأرسل لكِ دورة «التواصل والبيان»، اقرئيها كلها... ثم سأكلفكِ بالآتي:

من اليوم (التاريخ ٣ أكتوبر ٢٠٢١) ولمدة عام كامل:

كل يوم صباحًا تُرسِلين لزوجكِ رسالة حلوة: (صباح الخير حبيبي...) وأي شيء آخر بعده.

وقبل النوم تقولين له: (أحبك).

لا تنتظري ردًّا منه. افعلي هذا مُخلِصةً لله الدين؛ لأن هذا ديننا عدل وإحسان.. أنتِ تمارسين الإحسان.

لنفرض أغضبك... مبدئيًّا، حدثت مشكلة، لا تُغيِّري عادتكِ... استمري لمدة عام.

وكذلك أتقني مهارات تدليك الرأس، الأكتاف، الظهر.. إلخ، وأدخليها لحياتكِ.. بدون أن يطلب منكِ زوجكِ ذلك.

إنكِ إنْ لم تفعلي ذلك، والله لن يرحمكِ أحدٌ على الأرض... الحنان والكلمة الطيبة فيكِ

إنْ انعدمت.. حتى بَنُوكِ الذين مِن رَحِمِكِ سينقلبون أعداءً. والله لترين من سواد القلوب والكراهية ما يُحوِّل دنياكِ إلى جحيمٍ. حتى عبادتكِ لن تذوقي حلاوتها كما أخبر الصادق المصدوق: «**ولا تَجِدُ امرأةٌ حَلاوةَ الإيمانِ؛ حتى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا**».

لنُسْأَلَنَّ في قبورنا ثلاثة أسئلة... وليس سؤالًا واحدًا:

مَن ربك؟ وعرفتِه.

مَن نبيُّك؟ وعلمتِه.

ويبقى سؤالٌ: ما دينكِ؟ ودينكِ العدل والإحسان..

فهل تَقبَلين بدين الله؟ قال عمُّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قبل موته: (بل على ملة عبد المطلب)... فهل أنتِ على ملة أهلكِ؟

أم ستَعِدِينني أنْ تُصلِحي لسانكِ... وتعيدي الرحمة والحنان... وتُغيِّري كل الجفاء الذي فيكِ؛ لأن الجفاء في النار؟

عُودِي أنثى... لأن الله يريد أن يَرُدَّ لكِ قلبكِ.. عُودِي أنثى، وإنْ كان أهلكِ لسنين يُعاملونكِ كحجرٍ.

فهـرس الكـتاب

الموضـــــوع	الصفحة
الشكر والإهداء	٣
بين يدي الكتاب	٤
المقدمة	٥
١- فهم نظام الزوجية	١٠
٢- الذكورة والأنوثة في غير البشر	١٤
٣- هل يختلف الذكر عن الأنثى	١٩
٤- مفهوم المساواة	٢٨
٥- دور الرجل في الأسرة	٣٣
أ- الاختيار أساس بناء الأسرة	٣٣
ب- التخطيط لمستقبل الأسرة	٣٥
ج- الإنفاق عماد استقرار الأسرة	٣٩
د- صناعة الحسب لأطفالك	٤٣
هـ- دعم المرأة لتستطيع القيام بمهماتها ودعم أولادك	٤٦
٦- دور الأنثى في الأسرة	٥١
أ- الاختيار أساس الشراكة السعيدة	٥١
ب- الإنفاق العاطفي	٥٢
ج - التدريب على المسؤولية	٥٧
د - التدريب على استخدام اللغة والتعبير عن المشاعر	٦١
هـ- وظيفة الوزير الأمين	٦٣
٧- علاقة الذَّكر بالأنثى	٧٠

الموضـــــوع	الصفحة
أولًا: علاقة المحصنين	٧٠
ثانيًا: علاقة الشقائق	٧٥
٨- تنظيمات الدين في مقابل الجاهلية العالمية	٧٩
٩- ملخص الدورة	٨٦
١٠- أسئلة بعض المشاركات في الدورة	٨٧
السؤال الأول	٨٧
السؤال الثاني	٨٩
السؤال الثالث	٩٣
السؤال الرابع	٩٤
السؤال الخامس	٩٦
السؤال السادس	٩٧
السؤال السابع	٩٩
السؤال الثامن	١٠٤
السؤال التاسع	١٠٧

العَداوَةُ بَيْنَ الجِنسَيْنِ هِيَ الأَصْلُ، سَيَصِلُ كُلُّ ذَكَرٍ وَأُنثى إِلى تِلكَ العَداوَةِ لا مَحالَةَ، إِلَّا فِي حالَةٍ واحِدَةٍ: فَهِما أَدْوارَهُما وَحُدودَ الشَّرعِ وَالْتَزَما بِها. عِندَها يُصْبِحُ وُجودُ الرَّجُلِ أَكْبَرَ نِعْمَةٍ وَفائِدَةٍ لِلمَرأَةِ، وَتُصْبِحُ المَرأَةُ أَكْبَرَ مِنهَةً وَعَطِيَّةً رَزَقَها الرَّجُلُ.
وَفِي هَذا الكِتابِ سَتَقرَئينَ بَعضًا مِن تِلكَ القَواعِدِ الَّتِي تَحْمِي العَلاقَةَ الزَّوجِيَّةَ مِنَ الوُصولِ لِلبُغْضاءِ

بقلم الكاتبة